جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الأفعال الكلامية في سورة يونس
دراسة لسانية تداولية

إعداد

د/ ياسر رجب عز الدين عبد اللّه

أستاذ أصول اللغة المساعد

في كلية اللغة العربية بجرجا

(العدد السادس والثلاثون)

(الإصدار الثاني .. مايو)

(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

علمية- محكمة- ربع سنوية

الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الأفعال الكلامية في سورة يونس دراسة لسانية تداولية

ياسر رجب عز الدين عبد الله

قسم أصول اللغة، كلية اللغة العربية بجرجا، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: YasserAbdullah2018.el@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف البحث إلى التأصيل لظاهرة الأفعال الكلامية على مستوى التنظير والتطبيق، من خلال الإجابة عن التساؤلات التي يفرضها البحث، وكذا السعي إلى إيجاد مقاربة بين التراث اللغوي والمناهج البحثية الحديثية، وأيضًا الشروع في بيان البعد التداولي الوظيفي على وجه العموم، وفي ظاهرة الأفعال الكلامية على وجه الخصوص، "فالتداولية هي المجال الذي يهتم بدراسة أفعال الكلام والاقتضاء والاستلزام التخاطبي، وذلك بالاشتراك مع مجالات فلسفة اللغة ومنطق الحجاج وتحليل الخطاب، ولقد أسهمت نظرية أفعال الكلام في تغيير نظرة اللسانين إلى الكلام، واعتبرت اللغة قوة فاعلة في الواقع ومؤثرة فيه، وبالنظر إلى البعد الديناميكي للغة ترى هذه النظرية أن لا حدود بين الكلام، وتعد هذه التظرية أهم نظرية في اللسانيات؛ حيث إنَّ دراسة هذه الأفعال وما يفعله المتكلمون باللغة من تأثير وتبليغ وإنجاز أفعال من أهم مجالات الدراسات التداولية على الإطلاق، وذلك بوصفها تمثل البنية الصغرى التي يتعين تحليلها والوقوف على طبيعتها قبل الانتقال إلى البنية الكبرى التي تتمثل في مختلف أنواع التبادل في مجتمع من المجتمعات، وأهم ما سأركز عليه إسقاط هذه الأفعال الكلامية على نص قرآني وقد اخترت سورة يونس؛ لكثرة أساليب الحوار فيها وتنوعها ما بين الأساليب الخبرية والأساليب الإنشائية بوصفها تمثِّل مجالاً ثريًّا يتناسب والدراسة التي سأجريها، معتمدًا على استقراء هذه الأفعال ووصفها وتحليلها، ثم إبراز مدى تأثيرها في الخطاب ودورها في عملية التواصل والإبلاغ. إنَّ غاية هذا البحث هي: استثمار نظرية أفعال الكلام في قراءة الموروث اللساني العربي، ومحاولة

التأصيل لهذه النظرية في التراث اللغوي العربي، وقد اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي؛ لأنه الأنسب لهذه الدراسة العلمية؛ وما يتبع المنهج من تحليل وتقرير واستنباط.

الكلمات المفتاحية: الأفعال، الكلامية، سورة يونس، دراسة تداولية، الحجاج، تحليل اللغة.

Speech verbs in Surat Yunus, a pragmatic linguistic study

Yasser Ragab Ezzedine Abdullah
Department of Linguistics, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Egypt.
Email :YasserAbdullah2018.el@azhar.edu.eg

Abstract:
The research aims at rooting for the phenomenon of verbal verbs at the level of theory and application, by answering the questions posed by the research, as well as seeking to find an approach between the linguistic heritage and modern research methods, as well as initiating a statement of the functional deliberative dimension in general, and in the phenomenon of verbs. Speech in particular, "Pragmatics is the field concerned with the study of speech acts and conversational implication and implication, in conjunction with the fields of language philosophy, argumentation logic, and discourse analysis. In view of the dynamic dimension of language, this theory considers that there are no borders between speech, and this theory is considered the most important theory in linguistics, as the study of these actions and what language speakers do in terms of influencing, communicating and accomplishing actions is one of the most important fields of pragmatic studies at all, as it represents the microstructure that It must be analyzed and its nature determined before moving on to the grand structure that is represented in the various types of exchange in a society. The most important thing I will focus on is the projection of these verbal acts on a Qur'anic text, and I chose Surah Yunus. Due to the large number of methods of dialogue in it and their diversity between declarative methods and constructive methods, as they represent a rich field commensurate with the study that I will conduct, relying on extrapolating, describing and analyzing these verbs, and then highlighting the extent of their impact on discourse and their role in the process of

communication and reporting. The purpose of this research is: investing the theory of verbs of speech in reading the Arabic linguistic heritage, and trying to root this theory in the Arabic linguistic heritage, and it relied on the descriptive analytical approach; because it is most appropriate for this scientific study; And what follows the methodology of analysis, report and deduction.

Keywords: Verbs, speech, Surat Yunus, Pragmatic study, Pilgrims, Language analysis.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النَّبي الأمين، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمَّا بعد

فإنَّ اللغة تعدُّ الوسيلة الأساسية لتواصل الإنسان مع غيره؛ إذ يستعملها في محاوراته ومناقشاته؛ لذلك كانت محل دراسةٍ واهتمامٍ من طرف العديد من التخصصات كعلم النفس، وعلم الاجتماع، والبنيوية وغيرها [١].

وبعد أن كانت اللسانيات تدرس اللغة لذاتها، برز فريق من العلماء يشير إلى أنَّ المعنى ليس شيئًا متَّصلاً في الكلمات وحدها ولا يرتبط بالمتكلم وحده ولا المتلقِّي وحده، وهنا أصبحت اللسانيات تدرس اللغة في الاستعمال أو في التواصل، وصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والمتلقي في سياقٍ محدَّدٍ (ماديّ، واجتماعيّ، ولغويّ) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلامٍ ما"[٢].

"فالتداولية هي المجال الذي يهتم بدراسة أفعال الكلام والاقتضاء والاستلزام التَّخاطبي؛ وذلك بالاشتراك مع مجالات فلسفة اللغة ومنطق الحجاج وتحليل الخطاب. ولقد أسهمت نظرية أفعال الكلام في تغيير نظرة اللسانين إلى الكلام، واعتبرت اللغة قوة فاعلة في الواقع ومؤثِّرة فيه، وبالنظر إلى البعد الديناميكي للغة ترى هذه النظرية أن لا حدود بين الكلام والفعل"[٣].

---

(١) أفعال الكلام في سورة مريم ـ دراسة تداولية/ لحدادي صباح ورفيقتها ص أ.

(٢) أفعال الكلام في القرآن ودورها في إنتاج المعنى وترجمته إلى اللغة الفرنسية/ لعبد الرحمان مرواني ص ٥٢٩.

(٣) المرجع السابق ــ الصفحة نفسها.

من هنا كانت اللغة محل عنايةٍ من العديد من التخصصات كعلم النفس وعلم الاجتماع، وعلم البنية، وهذا الأخير ينظر إلى اللغة على أنها بنية مغلقة، فقد شهد العقد السابع من القرن العشرين منعطفًا جديدًا في الفكر اللغوي الحديث والمتمثل في التداولية التي ظهرت على يد (أوستين) وطورها تلميذه (سيرل)، وقد جاءت كردٍّ على البنيوية التي أهملت المعنى عامة والكلام خاصة (دي سوسير) والتركيز على الكفاءة وإهمال الأداء (تشومسكي)، وهي بدورها أعادت الاعتبار للكلام والأداء من خلال دراسة اللغة في علاقتها مع مستعمليها، إضافة إلى كيفية فهم الناس بعضهم لبعض، وتنطلق التداولية من قاعدة أساسية هي "أننا عندما نتلفظ بقول فإننا ننجز فعلا كلاميًا في الواقع"، فهذا الاتجاه قد أتاح للمستمع الكشف عن مقاصد المتكلم في مختلف المقامات(١).

هذا وتعد" نظرية الأفعال الكلامية" أهم نظرية في اللسانيات؛ حيث إن دراسة هذه الأفعال وما يفعله المتكلمون باللغة من تأثير وتبليغ وإنجاز أفعال تعدّ من أهم مجالات الدراسات التداولية على الإطلاق، وذلك بوصفها تمثل البنية الصغرى التي يتعين تحليلها والوقوف على طبيعتها قبل الانتقال إلى البنية الكبرى التي تتمثل في مختلف أنواع التبادل في مجتمع من المجتمعات " (٢).

من هذا المنطلق كان اختياري لهذا البحث الذي جاء عنوانه: الأفعال الكلامية في سورة يونس ـ دراسة لسانية تداولية.

إشكالية البحث:

ينطلق هذا البحث من إشكاليات مفادها: ما مفهوم التداولية؟ وما أهم محاورها؟ وكيف يتجسَّد الفعل الكلامي في القرآن الكريم، وبالتحديد في سورة

(١) ينظر: أفعال الكلام في سورة مريم ص أ.

(٢) الأفعال الكلامية في سورة الكهف ـ دراسة تداولية/ لآمنة لعور (رسالة ماجستير) ص ٨.

يونس؟ وكيف يمكن الكشف عن البعد التداولي في الخطاب القرآني من خلال نظرية الأفعال الكلامية؟ وما مدى كفاية المنهج التداولي لدراسة الأسلوب القرآني؟ وإلى أي مدى يمكن استثمار نظرية الأفعال الكلامية في الكشف عن الآليات التعبيرية المستعملة في الخطاب القرآني، للدلالة على القوى الإنجازية لهذا الخطاب؟

وأهم ما سأركز عليه في هذه الدراسة هو إسقاط هذه الأفعال الكلامية على نص قرآني وقد اخترت "سورة يونس"؛ لكثرة أساليب الحوار فيها وتنوعها ما بين الأساليب الخبرية والأساليب الإنشائية بوصفها تمثِّل مجالاً ثريًا يتناسب والدراسة التي سأجريها معتمد على استقراء هذه الأفعال ووصفها وتحليلها، ثم إبراز مدى تأثيرها في الخطاب ودورها في عملية التواصل والإبلاغ.

أسباب اختيار الموضوع:

أما عن سبب اختياري لهذا الموضوع فهناك أسباب ذاتية وأسباب موضوعية، فالذاتية تتمثل في حبِّي للقرآن الكريم؛ فهو كلام الله المقدس، أمَّا الموضوعية فتتمثل في رغبتي الكشف عن الملامح التداولية في القرآن الكريم، ومعرفة مقاصده، والسبب الآخر الذي يدفعني للدخول في غمار هذا الموضوع هو محاولة الإسهام في مجال البحث التداولي؛ وذلك بهدف إثراء رصيدنا اللغوي.

وكذلك رغبتي في استقراء وتعليل كل ماله علاقة بهذا المجال الخصب للوصول إلى الهدف المرجو وهو إزالة شيء من الغموض عنه والتعمق أكثر فأكثر في هذا المجال، وذلك من خلال الكشف عن أهمية أفعال الكلام في العملية التبليغية التواصلية هذا من جهة، ومن جهة أخرى إسقاط هذه الأفعال على نص من النصوص القرآنية (سورة يونس) بهدف الربط بين الدرس اللساني التداولي والتراث وهذا من خلال تقصي هذه الأفعال واستخراجها ودراستها بشيء من الوصف والتحليل.

إن غاية هذا البحث هي: استثمار نظرية أفعال الكلام في قراءة الموروث اللساني العربي، ومحاولة التأصيل لهذه النظرية في التراث اللغوي العربي، ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث الموسوم بـ: " الأفعال الكلامية في سورة يونس ـ دراسة تداولية".

أما عن سبب اختيار سورة " يونس"؛ فلأن هذه السورة متميزة بكونها جاءت في مقام التَّحدِّي للمشركين؛ فهي سورة مكيّة، وقد جعلت العقيدة مقصدها الأساس، فردّتْ على المشكّكين، ودحضتْ الباطل باليقين، ومن أبرز مقاصد السورة: إثبات رسالة سيّدنا محمد (ﷺ)، وإثبات تفرّد الله – تعالى – بالألوهيّة، وإثبات البعث يوم القيامة للحساب والجزاء، والتّنبيه على أن عدم تعجيل العذاب للكافرين، وهو حكمة من الله ـ تعالى ـ والتّذكير بمصير الأمم السّابقة، وإثبات أنّ القرآن الكريم منزلٌ حقاً من عند الله – تعالى، وتبشير أولياء الله بالخير في الدّارين، وتصبير الرّسول (ﷺ) على المستهزئين، وتسليته عمّا يقولون، وأنّ الله ـ تعالى ـ قادر على أن يؤمن أهل الأرض كلّهم، لو شاء ذلك، وَأُتْبِعَ ذَلِكَ بِإِثْبَاتِ الْحَشْرِ وَالْجَزَاءِ. فَذَلِكَ إِبْطَالُ أُصُولِ الشِّرْكِ [1]، وَقد تَخَلَّلَ ذَلِكَ ذِكْرِ دَلَائِلَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَبَيَانِ حِكْمَةِ الْجَزَاءِ، وَصِفَةِ الْجَزَاءِ، وَمَا فِي دَلَائِلِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنْ حِكَمٍ وَمَنَافِعَ لِلنَّاسِ. وَوَعِيدِ مُنْكِرِي الْبَعْثِ الْمُعْرِضِينَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَبِضِدِّ أُولَئِكَ وُعِدَ الَّذِينَ آمَنُوا. فَكَانَ مُعْظَمُ هَذِهِ السُّورَةِ يَدُورُ حَوْلَ مِحْوَرِ تَقْرِيرِ هَذِهِ الْأُصُولِ. فَمِنْ ذَلِكَ التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ إِمْهَالَ اللَّهِ تَعَالَى الْكَافِرِينَ دُونَ تَعْجِيلِ الْعَذَابِ هُوَ حِكْمَةٌ مِنْهُ. وَمِنْ ذَلِكَ التَّذْكِيرُ بِمَا حَلَّ بِأَهْلِ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ لَمَّا أَشْرَكُوا وَكَذَّبُوا الرُّسُلَ.

(١) التحرير والتنوير/ للطاهر بن عاشور ١١/ ٧٨ ــ ٨٠ (بتصرف يسير)

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في بعض الأمور الآتية:

١. كونه قائم على القرآن الكريم الذي يعد بنظمه نمطًا واحدًا في القوة الإبداعية كظاهرة؛ لأنه منزل من الله ـ سبحانه وتعالى.

٢. ما انفردت به سورة يونس من خصائص تفردت بها عن سائر سور القرآن، كالإكثار من أساليب الوعد والوعيد، والاستفهام، والترغيب والترهيب، وتضمنها لقصص الأقوام السابقة، وتبشير أولياء الله بالخير في الدّارين، وتصبير الرّسول (ﷺ) على المستهزئين، وتسليته عمّا يقولون، والتّذكير بمصير الأمم السّابقة.

٣. أنَّ البحث يمثل جانبًا تطبيقيًا للون مهم من ألوان التداولية، وهو الأفعال الكلامية في هذه السورة.

٤. استخراج الأفعال الكلامية الواردة في سورة يونس على اختلافها؛ للوصول إلى معنى المعنى منها.

٥. الوقوف على استعمال هذه الأفعال في القرآن الكريم وفق تصنيفات (سيرل)، من خلال الكشف عن أغراضها التداولية.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى عدة أمور من أهمها ما يأتي:

١. التأصيل لظاهرة الأفعال الكلامية على مستوى التنظير والتطبيق، بالبحث عن منطلقاتها، والكشف عن أسسها، من خلال الإجابة عن التساؤلات التي يفرضها البحث.

٢. السعي إلى إيجاد مقاربة بين التراث اللغوي والمناهج البحثية الحديثة، وربط جسور التواصل المعرفية بين الجميع.

٣. الشروع في بيان البعد التداولي الوظيفي على وجه العموم، وفي ظاهرة الأفعال الكلامية على وجه الخصوص.

الدراسات السابقة:

كثرت الدراسات والأبحاث العلمية التي اتَّخذت من نظرية الأفعال الكلامية والدراسة التداولية محورًا للبحث والدراسة لدرجة أنني لا أستطيع إحصاءها أو حصرها؛ نظرًا لاتساعها، لكن عند الحديث عن الأفعال الكلامية في نص قرآني، وخاصة في سورة يونس على وجه التحديد، فإني لم أقف ــ في حدود بحثي ومطالعتي ــ على بحث أُفرِد لهذا الموضوع، وتناول الأفعال الكلامية في سورة يونس دراسة لسانية تداولية، وإنما الذي عثرت عليه يتمثل في مجموعة رسائل وأبحاث علمية تناولت سورًا من القرآن الكريم في جملتها، ولم أجد من بينها من تناول " سورة يونس "، ومن هذه الرسائل:

- رسالة ماجستير، لآمنة لعور، بعنوان:" الأفعال الكلامية في سورة الكهف ــ دراسة تداولية٢٠١٠/ ٢٠١١م.
- رسالة دكتوراة، لمحمد مدور، بعنوان:" الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة ـ دراسة تداولية) ٢٠١٣م.
- رسالة ماجستير، لمحمد شمخي جبر، بعنوان: السور المسبحات ــ دراسة تداولية ٢٠١٥ / ٢٠١٦م.
- رسالة ماجستير، لصباح حدادي، بعنوان:" أفعال الكلام في سورة مريم ــ دراسة تداولية ٢٠١٦ / ٢٠١٧م.
- بحث لحسين جعفر عبيد، بعنوان: " الفعل الكلامي في سورة الأنفال ـ قراءة تداولية، منشور في مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية المجلد ٢٦، العدد ٩: ٢٠١٨م
- بحث للدكتورة/ أمل عبد الفتاح أحمد، بعنوان:" الأفعال الكلامية في آيات التعجيز في القرآن الكريم ــ دراسة تداولية"، منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد (٣٩) ٢٠٢١م.

منهج البحث:

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي؛ لأنه الأنسب لهذه الدراسة العلمية؛ وما يتبع المنهج من تحليل وتقرير واستنباط، حيث قمت بجمع النصوص القرآنية التي تمثل الأفعال اللغوية في هذه السورة، ثم توزيعها إلى مقاصد حسب موضوعاتها في البحث، ثم دراستها وتحليليها من خلال الرجوع إلى كتب التفسير القديمة والحديثة؛ لاستخراج هذه الأفعال وبيان كيف عبَّرت هذه الأفعال عن دلالة فعلية، مع عرض آراء وأقوال العلماء المتعلقة بالجزئية محل الدراسة من مصادرها الأصلية ومناقشتها، وبيان السياق العام والتحليل التداولي للآيات، مع محاولة الربط بين الأفعال الكلامية وبين مقصود الآية ما أمكن.

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة بها أهم نتائج وتوصيات البحث والدراسة، ثم أعقبت ذلك بفهارس فنية.

ففي **المقدمة:** تناولت أهمية الموضوع، والسبب في اختياره، ومنهجي الذي سرت عليه في هذا البحث، وخطته.

التمهيد: وعنوانه: **التداولية.. مفهومها.. نشأتها وتطورها.. محاورها.**

أما الفصل الأول: فقد جاء تحت عنوان:" **الأفعال الكلامية في الفكر اللساني الغربي والعربي**"، ويشتمل على مبحثين، هما:

المبحث الأول: وعنوانه:" **الأفعال الكلامية عند الغرب**".

المبحث الثاني: وعنوانه:" **الأفعال الكلامية عند العرب**".

وأما الفصل الثاني: فقد جاء تحت عنوان: "**دراسة تطبيقية لأفعال الكلام في سورة يونس**"، ويشتمل على مبحثين، هما:

المبحث الأول: وعنوانه:" **التعريف بسورة يونس**".

المبحث الثاني: وعنوانه:" **دراسة تطبيقية لأفعال الكلام في سورة يونس**"

الخاتمة ونتائج البحث.

الفهارس الفنية.

وختامًا: آمل أن أكون قد وفقت فيما عرضت له في هذا البحث، كما آمل أن يكون هذا البحث إضافةً إلى المكتبة العربية، وأن يجعله الله خالصًا لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين)

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

المؤلف

تمهيـــد

التداولية.. مفهومها.. نشأتها.. محاورها

قبل الخوض في الحديث عن الأفعال الكلامية وأقسامها لابد لنا من وقفةٍ نتعرف من خلالها على التداولية ومفهومها في اللغة والاصطلاح ثم نشأتها وتطورها ثم محاورها، وذلك فيما يأتي:

أولاً: مفهوم التداولية (لغة واصطلاحًا):

أ-في اللغـــة: تعني: التحول من مكان إلى مكان،قال ابن فارس: " الدَّالُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى تَحَوُّلِ شَيْءٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفٍ وَاسْتِرْخَاءٍ، أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: انْدَالَ الْقَوْمُ، إِذَا تَحَوَّلُوا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ تَدَاوَلَ الْقَوْمُ الشَّيْءَ بَيْنَهُمْ: إِذَا صَارَ مِنْ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ، وَالدَّوْلَةُ وَالدُّولَةُ لُغَتَانِ. وَيُقَالُ بَلِ الدُّولَةُ فِي الْمَالِ وَالدَّوْلَةُ فِي الْحَرْبِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَا بِذَلِكَ مِنْ قِيَاسِ الْبَابِ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ يَتَدَاوَلُونَهُ، فَيَتَحَوَّلُ مِنْ هَذَا إِلَى ذَاكَ، وَمِنْ ذَاكَ إِلَى هَذَا" (١).

وقد أفاد اللغويون من المعجم القرآني في استشراف هذه المادة ولاسيما (التداولية)، ومن الشواهد القرآنية التي وردت فيها التداولية بمعناها اللغوي قوله تعالى﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (٣).

(١) مقاييس اللغة/ لابن فارس ٢/ ٣١٤ (د و ل).

(٢) البقرة: من الآية (١٨٨).

(٣) آل عمران: من الآية (١٤٠).

فقد تبيَّن من الآيات المباركات أنَّ التداول يأتي بمعنى التحول وعدم الثبوت؛ فهي لا تختلف كثيـرًا عن معناها اللغوي؛ إذ يفهم منها انتقال الملك والتعاقب والتناوب على أمرٍ ما [١].

ب- وأمَّا في الاصطلاح:

فقد اختلف علماء اللغة في تعريف التداولية نظرًا لاتساع مجالها المعارفي الذي يتشابك بالعديد من العلوم مما أدَّى إلى صعوبة وضع تعريف خاص بها يلمُّ بآفاقها وانشغالاتها [٢].

ومن أقدم التعريفات الاصطلاحية التي جرت على التداولية ما ذكره (شارلز موريس) عام ١٩٣٨م؛ حيث يدل على فرعٍ من فروعٍ ثلاثةٍ يشتمل عليها: علم العلامات أو السيميَّة[٣]،وهي علم التركيب[٤]، وعلم الدلالة[٥]، والتداولية، وهي فرع لساني يعنى بدراسة التواصل بين المتكلم والمتلقي، أو بمعنى آخر يعنى بدراسة الرموز التي يستعملها المتكلم في عملية التواصل، والعوامل المؤثرة في اختيار رموز معينة دون أخرى، والعلاقة بين الكلام وسياق حاله، وأثر العلاقة بين المتكلم والمخاطب في الكلام [٦]. فهي:" فرعٌ من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف مقاصد المتكلم (Speaker Meaning) أو دراسة معنى المتكلم (Speaker Intentions)، فقول القائل: أنا عطشان مثلاً قد يعني:

(١) الفعل الكلامي في سورة الأنفال ـ قراءة تداولية/ لحسين جعفر عبيد ص ٢٧٤.

(٢) ينظر: أفعال الكلام في سورة مريم ص٩.

(٣) ينظر: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص/ رشيد بن مالك ص ١٧٢، ١٧٤.

(٤) ينظر: المرجع السابق ص ٢١٣.

(٥) ينظر: السابق ص ١٦٤.

(٦) الفعل الكلامي في سورة الأنفال ص ٢٧٥.

أحضر لي كوبًا من الماء، وليس من اللازم أن يكون إخبارًا بأنَّه عطشان؛ فالمتكلم كثيرًا ما يعني أكثر مما تقوله كلماته، وإذا كان ذلك كذلك فكيف يمكن للناس أن يفهم بعضهم بعضًا؟"(١).

ومن تعريفات التداولية: أنها:" دراسة كل جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلالية، فإذا اقتصر علم الدلالة على دراسة الأقوال الي تنطبق عليها شروط الصدق، فإن التداولية تعني ما وراء ذلك، مما لا تنطبق عليه هذه الشروط"(٢).

ومن ذلك أيضًا: أنها" دراسة جوانب السياق التي تُشَفَّر شكليًا في تراكيب اللغة، وهي عندئذٍ جزء من مقدرة المستعمل (٣).

فالتداولية ليست علمًا لغويًا محضًا، بالمعنى التقليدي يكتفي بوصف البِنَى اللغوية وتفسيرها عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال استعمالها، ويدرج من ثمَّ مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره، والحديث عنها وعن شبكتها المفاهيمية يقتضي الإشارة إلى العلامات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة؛ لأنها تَشِي بانتمائها إلى حقول مفاهمية تضم مستويات متداخلة كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب، والاستدلالات التداولية، والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج والفهم اللغويَيْنِ، وعلاقة البنية بظروف الاستعمال(٤).

وبالنظر إلى ما سبق من تعريفات نجد أنَّ أوجز تعريف للتداولية وأقربه إلى القبول هو:" دراسة اللغة في الاستعمال in use أو التواصل in

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر/ د. محمود نحلة ص١٢، ١٣.
(٢) السور المسبحات دراسة تداولية/ لمحمد شمخي جبر (رسالة ماجستير) ص٧.
(٣) السور المسبحات دراسة تداولية ص٧.
(٤) الفعل الكلامي في سورة الأنفال ص٢٧٥.

interaction لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئًا متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول negotiation اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلامٍ ما"[(١)]. فالإيجاز والشمول، مع التركيز على الغاية والهدف من التداولية هي مميزات هذا التعريف والسمات التي تجعله جديرًا بالقبول والترجيح على غيره من التعريفات الأخرى.

ثانيًا: نشأتها وتطورها:

أ) عند الغرب:

يعود مصطلح التداولية بمفهومه الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي (تشارلز موريس)؛ إذ استعمله أول مرة في العام ١٩٣٨م [(٢)]، وقد كان بعض الباحثين المحدثين يظن أن نشأة التداولية جاءت نتيجة أعمال فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي في جامعة أكسفورد، وهم أوستين (J.L.Austin) وسيرل (J.R. Searle) وجرايس (H.P.Grice) ، إلا أن البحث في أصول التداولية يصل بنا إلى حقيقة ترجِّح أنَّ الأرض التي نبتت عليها التداولية هي الفلسفة التحليلية؛ لأنها الينبوع المعرفي لأول مفهوم تداولي وهو الأفعال الكلامية [(٣)].

لقد وضع (أوستين) وتلميذه (سيرل) نواة التداولية وطورا من وجهة نظرٍ تحليليةٍ مفهوم (الفعل اللغوي) وفي عام ١٩٥٧ نشر الفيلسوف (بول غرايس) مقالاً في الدلالة كان له أهمية تاريخية، وبعد مضي عشر سنوات ألقى (غرايس) محاضرات وليام جيمس، هذه المحاضرات التي لم تسمح فقط بإحداث تقدم في

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر/ د. محمود نحلة ص١٤.

(٢) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ٩.

(٣) ينظر: التداولية عند العرب / لصحراوي ص ١٧.

مستوى معرفتنا باللغات الطبيعية، وإنما أحدثت تغييرًا طال حتى هندسة اللسانيات.

إن اكتشاف الأبعاد التداولية للغة فتح آفاقًا أرحب وأنتج أسئلة جديدة ستكون سببًا في الاعتراف بالتداولية على اعتبارها من البحوث اللسانية الأكثر حداثة؛ إذ بدأت تتلألأ في سماء الدرس اللساني مقولات تداولية جديدة، مثل البؤرة، والاقتضاء، والاستلزام الخطابي[١] .

وأخيرًا لابد من القول: إن التداولية نشأت من أعمال فلاسفة اللغة، وإن الفلسفة التحليلية هي المصدر الأول للمفهوم التداولي، وإن (أوستين) وتلميذه (سيرل) قد وضعا نواة التداولية وطوَّرا من وجهة نظرٍ تحليليةٍ مفهوم (الفعل اللغوي)، حتى تم الاعتراف بالتداولية على اعتبارها من البحوث اللسانية الأكثر حداثة.

ب)عند العرب:

تعد اللسانيات التداولية في التراث العربي من أهم الجوانب التي تعد اليوم من أبرز المبادئ التي تأسست عليها التداولية الحديثة؛ حيث اهتم الدارسون القدامى بدراسة النص باعتباره خطابًا متكاملاً، متجاوزةً بذلك مجرد وصف البنية والشكل النحوي وكل ماله علاقة بعملية التواصل اللغوي، كما اهتموا بمعيار الصدق والكذب ومطابقة الخطاب للواقع وعدمه ومراعاة المقام ومطابقته لمقتضى الحال، وهذا ما نجده في العديد من الدراسات اللغوية العربية [٢] قديمًا وحديثًا:

(١) ينظر: التداولية في البحث اللغوي والنقدي/ للبستاني ص ٣٦.

(٢) ينظر: التفكير اللغوي التداولي عند العرب، مصادره ومجالاته/ خليفة بوجادي ص ٣١، ٣٢،

ومن هذه الدراسات **عند القدامى:**

- **البيان والتبيين/ للجاحظ (ت: ٢٥٥هـ):** فالبيان عند الجاحظ هو:" البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائنًا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام. فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[(١)].
- **الخصائص/ لابن جني (ت: ٣٩٢هـ)**، وفقه اللغة وسنن العرب في كلامها/ لأحمد ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، والرسالة/ للشافعي (ت٣٩٥هـ)، والكشاف/ للزمخشري(ت:٥٣٨هـ).

كما تبدو هذه التداولية أيضًا في أعمال:

- **السكاكي (ت:٦٢٦هـ):** فقد بدت ملامح الاتجاه التداولي في أعماله، واهتمامه بعناصر العملية التواصلية وربطها بمقتضى الحال، ويرى أنه لكل من هذين الطرفين (المتكلم/ المتلقي) دورٌ فعَّالٌ في تحديد المقصد وتبليغه وفهمه.

ومن هذه الدراسات **عند المحدثين** ما ورد في أعمال:

- **طه عبد الرحمن:** الذي قام بوضع مصطلح (التداولية) كمقابل للمصطلح الأجنبي Pragmatique؛ حيث يقول وقد وقع اختيارنا سنة ١٩٧٠م على مصطلح التداوليات، مقابلاً للمصطلح الغربي براغماتيق؛ لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيين " الاستعمال، والتفاعل معها، ولقي منذ ذلك

(١) البيان والتبيين/ للجاحظ ١/ ١١.

الحين قبولاً من لدن الدارسين الذين أخذو يدرجونه في أبحاثهم(١)، وتتجلى ملامح البحث التداولي عنده من خلال اهتمامه بالكلام والعملية التخاطبية ككل، إذ يقول في هذا الصدد:" ولما كان التخاطب يقتضي اشتراك جانبين عاقلين في إلقاء الأقوال وإتيان الأفعال لزم أن تنضبط هذه الأقوال بقواعد تحدد وجوده فائدتها الإخبارية أو قبل " فائدتها التواصلية" نسميها بقواعد "التبليغ" علمًا بأن مصطلح "التبليغ" موضوع للدلالة على التواصل الخاص بالإنسان" (٢).

ـ **الدكتور محمد يونس علي**، الذي وضَّح أنَّ:" الغاية من علم التخاطب هي معرفة كيفية حصول التفاهم بين المتخاطبين، وتشمل مسائله كل العناصر التي تسهم في إحداث التخاطب من وضع واستعمال وقرائن، وأنواع الدلالات المختلفة، والنظريات الدلالية ذات الصلة بالاستعمال والسياق"(٣).

ومهما يكن من أمر فيمكن إجمال ما تقدم بالقول: إن التداولية منهج في تحليل الخطاب تبحث عن كل ما من شأنه أن يقرِّب الفهم والتواصل بين المتكلم والسامع (٤).

ثالثًا: محاور التداولية:

رغم اتساع مجال التداولية وتعدد بيئة نشأتها إلا أنها استطاعت فرض نفسها في حظيرة العلوم، وجعلت لنفسها مبادئ تستند عليها لدراسة اللغة، ويكاد

(١) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام/ طه عبد الرحمن ص ٢٨، والتفكير التداولي في كتاب الحروف/ لأبي نصر الفارابي ص ١٨، ٢٠.

(٢) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي/ طه عبد الرحمن ص ٢٣٧.

(٣) مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب/ للدكتور محمد يونس ص ١.

(٤) الفعل الكلامي في سورة الأنفال ص ٢٧٥.

يتفق الباحثون على أنَّ البحث التداولي يقوم على دراسة أربعة جوانب، وهو ما يعرف بالجهاز المفاهيمي للتداولية، وهذه الجوانب أو المفاهيم هي:

- **الإشاريات deixis:**

وهي ألفاظ وتعبيرات تعتمد اعتمادًا تامًا على السياق الذي تستعمل فيه، ولا يمكن إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه، وأغلب الباحثين يرون أن الإشاريات خمسة أقسام: شخصية وزمانية ومكانية واجتماعية وخطابية أو نصية، على خلاف في الأخيرين [١]، مثال ذلك عندما تقرأ جملة مقتطعة من سياقها مثل عبارة:

سوف يقومون بهذا العمل غدًا؛ لأنهم ليسوا هنا الآن

سوف تجدها شديدة الغموض؛ لأنها تحتوي على عدد كبير من العناصر الإشارية التي يعتمد تفسيرها اعتمادًا تامًّا على السياق المادي الذي قِيلَتْ فيه، ومعرفة المرجع الذي تحيل إليه، وهذه العناصر هي: واو الجماعة، وضمير جمع الغائبين " هم "، واسم الإشارة "هذا "، وظرفا الزمان "غدًا"، و"الآن"، وظرف المكان " هنا "، ولا يتَّضح معنى الجملة إلا إذا عرفنا ما تشير إليه هذه العناصر، ومثل ذلك: أن تجد إعلانًا غير مؤرَّخ يقول:" **البيع بالمزاد العلني يوم الخميس** "، فلا تعرف عندئذٍ أي يوم من أيام الخميس يكون؟ وهل انقضى وقته أو لم يزل؟ ولكي يكون معناه مفهومًا فلا بد من معرفة ما تشير إليه بتحديد زمانه بالقياس إلى زمان المتكلم. ومثل هذه العناصر تسمى العناصر الإشارية أو الإشاريات اختصارًا [٢].

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص١٥.

(٢) ينظر: المرجع السابق ص١٦.

- **الافتراض المسبق presupposition:**

وهو مفهوم إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين من قوانين التخاطب، تحكمها ظروف الخطاب العامة، كسياق الحال والمقام ونحوه، وهي على قسمين: افتراض مسبق، وقول مضمر(١). حيث "يوجّه المتكلم حديثه إلى السامع على أساس مما يفترض سلفًا أنه معلوم له، فإذا قال رجل لآخر: **أغلق النافذة**، فالمفترض سلفًا أنَّ النافذة مفتوحة، وأن هناك مبررًا يدعو إلى إغلاقها، وأن المخاطب قادر على الحركة، وأن المتكلم في منزلة الآمر، وكل ذلك موصول بسياق الحال، وعلاقة المتكلم بالمخاطب"(٢).

- **الاستلزام الحواري** conversational implicature:

هو ما يرمي إليه المتكلم بصورة غير مباشرة، جاعلاً المخاطب يتجاوز المعنى الظاهري لكلامه إلى معنى آخر، ولا يقع الاستلزام إلا إذا تجاوز المتكلم أحد مبادئ التعاون بين المتكلم والمخاطب، وهي الكم والكيف والعلاقة والجهة (٣)، وذلك وفق سياق الكلام؛ لذلك " فإن التعبير الواحد يمكن أن يؤدي إلى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة، فإذا سألتَ طفلاً يحتفل بيوم ميلاده مثلاً: **كم عمرك؟** فهو طلب للعلم، وإذا سألتَ السؤال نفسه لصبي عمره خمسة عشر عامًا، فقد يستلزم السؤال مؤاخذة له على نوع من السلوك لا ترضاه له، وإذا سألتَ السؤال نفسه لفتى يمنع من اتخاذ قرار لا يخرج عن تعاليم الدين ومواضعات الأخلاق والأعراف، فقد يعني ذلك أنه من النُّضج بحيث يستطيع أن يتَّخذ قراره ويتحمل عواقبه"(٤).

---

(١) التداولية عند العلماء العرب/ د. مسعود صحراوي ص ٣٠.

(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٢٦.

(٣) الاستلزام الحواري في التداول اللساني/ العيّشيّ أدراوي ص ١٧ ـ ١٩.

(٤) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٣٩.

- **الأفعـــال الكلامية speech acts:**

هي أهم هـذه الأقســام، التــي قامــت عليها التداولية في العصر الحديث؛ حيث جاء بها أوستين، وطوَّرها سيرل؛ إذ تقوم هذا النظرية على مبدأ أساسي هو أننا عندما نتكلم فنحن بصدد إنجاز أعمال في الواقع، مثال ذلك: إذا قال رجل لرفيقٍ له على المائدة: **هل تناولني الملح؟** فهذا فعل إنجازي غير مباشر؛ إذ قوته الإنجازية الأصلية تدل على الاستفهام الذي يحتاج إلى جوابٍ، وهو مصدر بدليل الاستفهام "هل"، لكن الاستفهام غير مراد للمتكلم، بل هو طلبٌ مهذَّبٌ يؤدي معنى فعل إنجازي مباشر هو: ناولني الملح" [(١)]، وسنتناولها بالتفصيل فيما يأتي:

(١) المرجع السابق ص٥١.

الفصل الأول

الأفعال الكلامية في الفكر اللساني

(الغربي والعربي)

كان لابد من تأصيل نظرية الأفعال الكلامية في الفكر الغربي والعربي قبل الدخول إلى الجانب التطبيقي لهذا البحث؛ وذلك من خلال ما أورده العلماء في هذا الصدد؛ وذلك للوقوف على أبعاد هذه الظاهرة، ودورها في تحديد أنماط الكلام والكشف عن خفايا الأساليب التعبيرية في ضوء السياق والمقام؛ إذ تعد نظرية الأفعال الكلامية الركيزة الأساسية التي قام عليها الاتجاه التداولي، وهي من أهم نظرياته [١].

فالأفعال الكلامية من أبرز المفاهيم التداولية حضورًا في التحليل التداولي للخطاب، وهي أقوال تؤدي بها أفعال، فبها يمكن للمرء أن ينجز أفعالاً بواسطة اللغة، نحو: أُزَوِّجكَ ابنتي؛ فبمجرد التلفظ بالقول تصير الابنة زوجة؛ ومن ثم يحدث فعل كلامي. وفيما يأتي نحاول الوقوف على أبعاد نظرية الأفعال الكلامية وتطبيقاتها في الفكر اللساني (الغربي والعربي):

المبحث الأول

الأفعال الكلامية عند الغرب

عند الحديث عن الأفعال الكلامية عند الغرب، لابد لنا من الوقوف على أهم الجهود التي ساعدت على تأسيس وتطوير هذه النظرية، ومن ذلك ما يأتي:

أولاً: "أوستين" وجهوده في تأسيس نظرية الأفعال الكلامية:

ظهرت نظرية الأفعال الكلامية عند الغرب على يد الفيلسوف (أوستين Austin)؛ حيث ظهر أثر نظرية الاستعمال أول ما ظهر في مدرسة (كمبردج) وخاصة في أعمال (أوستين)، ولاحقًا في أعمال فيلسوف اللغة (جون سيرل)

(١) ينظر: الأفعال الكلامية في سورة الكهف ص ٥٥.

صاحب نظرية أفعال الكلام، وبجهودهما تحولت الفلسفة اللغوية إلى مجال يبحث في مشكلات اللغة [١].

فقد ظهر أنَّ (أوستين) لا يقول بالتقسيم التقليدي للقضايا والجمل إلى خبرية وإنشائية، وبالتالي الاحتكام إلى معيار الصدق والكذب، وإنما ينطلق من موقف جديد، وهو أنَّ الوحدة الأساسية للغة، هي الأفعال الكلامية، وإذا اعتبرنا الأقوال أفعالاً، فإنها تسعى لتحقق شيئًا ما، وبالتالي فإنَّ المسألة لا تتعلق بالصدق والكذب فقط، وإنَّما بالسياق والمناسبة التي تم فيها الفعل أيضًا [٢].

وقد قسَّم أوستين الأفعال الإنجازية إلى نوعين:

أ- **إنشائيات صريحة**، مثل قولنا: آمرك أن تعرض عن الجاهلين.

ب- **إنشائيات ضمنية أولية**، مثل قولنا: أعرض عن الجاهلين [٣].

فقد وجد أوستين أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال تُؤَدَّى في وقت التلفظ بالفعل، وهي:(١- فعل القول، ٢- فعل متضمن في القول، ٣- فعل ناتج عن القول)، فهي ليست أفعالاً ثلاثة يستطيع المتكلم أن يؤديها واحدًا تلو الآخر، بل هي جوانب لفعل واحد، مركب من ثلاثة أقوال:

أ) **الفعل اللفظي:** وهو يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه.

ب) **الفعل الغرضي أو الإنجازي:** وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من وظيفة في الاستعمال كالوعد، والتحذير، والأمر والنصح ...إلخ.

(١) ينظر: الفلسفة واللغة/ د. الزواوي بغواره ص١٠٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق ص١٠٦.

(٣) ينظر: تعديل القوة الإنجازية ـ دراسة في التحليل التداولي لخطاب/ محمد العبد ص ١٣٧.

ج) **الفعل التأثيري:** ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع أو المخاطب سواء أكان تأثيريًا جسديًا، أم فكريًا أم شعوريًا [١].

وعمد أوستين في تقسيم الأفعال الكلامية إلى قسمين هما:

١ـ أفعال إخبارية (تقريرية):

وهي أفعال تصف حقائق العالم الخارجي، ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، نحو: (السماء تمطر) فهي تنقل معلومة إلى المتلقي أو تقرر واقعًا، وتوصف بالصدق إذا كان المطر حادثًا، كما توصف بالكذب إذا كان المطر غير حادث. وقد سمَّى أوستن الجمل التي تحتوي على هذا النوع من الأفعال بـ(الجمل الوصفية) التي تصف حدثًا أو حالة معينة من دون حصول فعل.

٢ـ أفعال إنشائية (أدائية):

تُؤدَّي بها أفعال في ظروف ملائمة، ولا توصف بصدق ولا كذبٍ، وإنَّما تكون ناجحة، طبقًا لمعيار الموائمة والمخالفة، وكون المتكلم مؤهَّلاً للقيام بالفعل، نحو: (أُوصِي بساعتي لأخي) فهذا المنطوق لا يؤدِّي إلى قول فحسب، وإنَّما يؤدي إلى وقوع فعل هو الوصية، ويدخل فيها (التسمية، والاعتذار، والرهان، والنصح، والإرشاد) [٢]. وتدور نظرية الأفعال الكلامية حول كيفية أداء الأفعال بالأقوال، فرأى أوستن أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أقوال:

أ. **الفعل اللفظي:**

وهو يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يجيب إليه.

---

(١) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة/ أوستين ص ١٢١ـ ١٢٣، ونظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب/ طالب سيد هاشم الطبطبائي ص ٤، ٥، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٦٧، ٦٨.

(٢) الفعل الكلامي في سورة الأنفال ص ٢٧٧.

ب ـ **الفعل الإنجازي:**

وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف الأصلي، أو يعني به محاولة المتحدث إنجاز غرض تواصلي معين.

ج ـ **الفعل التأثيري:**

ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع (١).

****

ثانيًا: "سيرل" وجهوده في تطوير نظرية الأفعال الكلامية:

لقد طوَّر سيرل نظرية أستاذه، وأدخل عليها بعض التعديلات، ويمكن القول: إن مرحلته تعتبر مرحلة النُّضج والاكتمال لهذه النظرية، ولهذا احتل الصدارة بين أتباع أوستين ومؤيديه، إضافةً إلى هذا، فقد أعاد النظر لنظرية أستاذه كما قام بتطويرها (٢).

وما قام به سيرل يعد قفزة نوعية في الاتجاه التداولي، وذلك من خلال سدِّه للثَّغرات التي وقع فيها أوستين، إلى جانب هذا نجده يؤكد " أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وأن للقوة الإنجازية دليلاً سمى دليل القوة الإنجازية يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة"(٣)، بمعنى أن الغرض الأساسي للتواصل عنده هو الفعل الإنجازي، وأثناء نطقنا بجملةٍ ما فإننا ننجز فعلاً في الوقت ذاته، وهذا الفعل إما أن يكون طلبًا، أو دعاءً، أو أمرًا، مما يعني أن الفعل الإنجازي له الفضل في تحديد نوع الفعل الذي نؤديه(٤).

---

(١) المرجع السابق ـ الصفحة نفسها.

(٢) التداولية اليوم علم جديد في التواصل ص ٣٣.

(٣) في البرجماتية (الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة) علي محمود حجي الصراف ص ٥١.

(٤) ينظر: معجم مصطلحات السيموطيقا/ برونوين ماتن وفليزيتاس رينجهام، ترجمة/ عابد =

إنَّ التطور الأساس للنظرية تحقق على يد سيرل فيما يُعْرَف بالمرحلة الأساسية الثانية للنظرية عندما أعاد النظر في تصنيف الأفعال الغرضية عند أوستين ولا سيما أنَّه لاحظ أنَّ هناك صعوبات متعلقة بهذا التصنيف، منها: التداخل الواضح بين فئات الأفعال، وأنَّ من الأفعال المُدرجة في فئات لا تفي بشروط التعريف المُعطَى للفئة، وعدم وجود مبدأ متين يقوم على أساسه التصنيف فضلاً عن أنَّ كثيرًا من الأفعال التي وَسَمَها أوستين بالأفعال الغرضية ليست غرضية [1]، ومن ثم حاول سيرل تعديل أو معالجة هذه الاعتراضات في ضوء آراء عدَّة انطلق فيها من رأي أوستين.... فقد صنَّف سيرل الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف أيضًا مع إجراء بعض التعديلات عليها، فقسَّمها على وفق ما يأتي:

١. الإخباريات (التقريريَّات) Assrtives:

الفعل الإنجازي المتضمن في القول: فيها هو نقل المتكلم واقعةً ما (بدرجات متفاوتة) في ضوء قضية يُعَبِّر بها عن هذه الواقعة. وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق أو الكذب، ويتضمن هذا الصنف أكثر أفعال الإيضاح عند أوستين وكثيرًا من أفعال الأحكام، واتجاه الملاءمة من الكلمات إلى العالم.

٢. الوعديات (الالتزاميَّات) Directives:

الفعل الإنجازي المتضمن في القول: فيها التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل، واتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد،

=

خزندار، ومحمد بريري ص ١١٦، وأفعال الكلام في سورة مريم ص ٤٠.

(١) ينظر: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد/ صلاح إسماعيل ص ٢٢٩ـ ٢٣٢، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٧١.

والمحتوى القضوي فيها دائمًا فعل المتكلم شيئًا في المستقبل، ومن أمثلتها: (المواعيد، والنذر، والرهون، والعقود، والضمانات).

٣.التوجيهيَّات (الأمريَّات) Commissives:

غرضها الإنجازي محاولة المتكلم جعل المستمع أو المخاطب يتصرف بطريقة تجعل تصرُّفه متلائمًا مع المحتوى الخبري للتوجيه، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثَّل في الإرادة أو الرغبة الصادقة، والمحتوى القضويّ فيها دائمًا فعل السامع شيئًا في المستقبل. ويدخل في هذا الصنف (الاستفهام، والامر، والرجاء، والاستعطاف، والتشجيع، والدعوة، والإذن، والنصح، والتحدي). والتوجيهات لا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، وإنما يمكن أن تُطاع، أو تُهمل، أو يخضع لها، أو تُسْتَنْكر.

٤. التعبيريَّات (البوحيَّات) Expressives:

وغرضها الإنجازي التعبير عن الموقف النفسيّ تعبيرًا يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة المتكلّم، فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم، ولا العالم الخارجيّ يطابق الكلمات، وكل ما هو مطلوب: الإخلاص في التعبير عن القضية، ومن أمثلة التعبيريات (الشكر، والتهنئة، والاعتذار، والتعزية، والترحيب).

٥.الإعلانيات (الإيقاعيَّات) Declaratives:

والسمة المميِّزة لهذا الصنف من الأفعال أنَّ أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجيّ، فإذا أديّتُ أنا إعلان الحرب أداءً ناجحًا فالحرب مُعْلَنةٌ، وأهم ما يميّز هذا الصنف من الأفعال عن الأصناف الأُخرى: أنَّها تُحدِثُ تغييرًا في الوضع القائم، زيادة على أنها تقتضي عرفًا غير لغوي، واتجاه المطابقة فيها قد يكون من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، ولا يحتاج إلى شرط الإخلاص [١].

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي ص٧٨ ـ ٨٠، والفعل الكلامي في سورة الأنفال ص ٢٧٩.

المبحث الثاني

الأفعال الكلامية عند العرب

إنَّ هذا العنوان يدعونا لطرح تساؤلات عدة مهمة، منها: هل عرف العرب الأفعال الكلامية؟ وإذا كانوا قد عرفوها فهل كانت تحمل المسمى نفسه أم لا؟ وكيف تناولوها؟ وما هي المؤلفات التي تعرضتْ لها؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات لابد من تتبع التراث العربي والبحث فيه عن ذلك؛ فقد ثبت عند تتبع نظرية الفعل الكلامي في التراث العربي أن الأفعال الكلامية تندرج ضمن علم المعاني؛ الذي يُعرِّفه السكَّاكي بقوله:" اعلم أن المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"(١).

أما الخطيب القزويني فيعرفه بأنه:" علمٌ يُعرَف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال، مع وفائه بغرض بلاغي يُفْهَم ضمنًا من السياق، وما يحيط به من القرائن، أو هو علم يبحث في الجملة بحيث تأتي معبرة عن المعنى المقصود" (٢).

وعند التَّمَعُّن في هذين التعريفين نجد أنَّ علم المعاني يهتم بالدرجة الأولى بالمعنى في إطار السياق، مثله مثل نظرية "الأفعال الكلامية"، التي أتى بها أوستين، وهذا ما يظهر من قول مسعود صحراوي، الذي يقول:" تعتبر نظرية الخبر والإنشاء ــ عند العرب من الجانب المعرفي العام ــ مكافئة لمفهوم الأفعال الكلامية عند المعاصرين"(٣). وعلى ذلك يمكن القول: إن ظاهرتي الخبر

(١) مفتاح العلوم/ للسكَّاكي ص ١٦١.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) للخطيب القزويني ص٤ (مقدمة المحقق)، طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) التداولية عند العلماء العرب ص ٤٩.

والإنشاء تمثلان القاعدة الأساسية في علم المعاني أو بالأحرى حجر الأساس لهذا العلم.

ونظرًا لأهمية الخبر والإنشاء وكونهما يمثلان القاعدة الأساسية في علم المعاني، وكون الأفعال الكلامية ـ التي يقوم عليها هذا البحث ـ تندرج ضمن علم المعاني، فسوف نُفَصِّل القول ـ فيما يأتي ـ حول تعريفهما في اللغة وفي الاصطلاح، وأقسام كل منهما، وما يشمل من مؤكدات وأغراض بلاغية مجازية بخلاف الأغراض الحقيقية؛ نظرًا لكون هذه الأمور تعد بمثابة القواعد النظرية لما يتبعها من تطبيق على النص القرآني في سورة يونس، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: الخبر "لغةً واصطلاحًا":

(١) الخبر في اللغة:

" لفظ مجرد عن العوامل اللفظية مسند إلى ما تقدمه، لفظًا نحو: زيد قائم، أو تقديرًا نحو: أقائم زيد، وقيل: الخبر ما يصح السكوت عليه" [(١)]. أما الزمخشري فقد عرَّفه بقوله:" خبرت الرجل خبرًا وخبرة واستخبرته عن كذا فأخبرني به وخبرني"[(٢)].

(٢) وفي الاصطلاح:

لقد تعددت تعريفات الخبر في المؤلفات العربية، وتباينت آراء العلماء حول تعريف الخبر، لكن معظمهم يتَّفق على معيار الصدق والكذب، ومن بين من صرح بذلك السكاكي بقوله:" الخبر هو الكلام المحتمل للصدق والكذب أو التصديق والتكذيب"[(٣)]، أما ابن فارس فذهب إلى القول أن:" الخبر ما جاز

(١) التعريفات/ للجرجاني ص ٩٦

(٢) أساس البلاغة ص ٢٢٩.

(٣) مفتاح العلوم ص١٦٤.

تصديق قائله أو تكذيبه" [1]، ويفهم من هذه الأقوال أن الخبر إذا كان مطابقًا لواقعه الخارجي فإنه حتمًا سيكون صادقًا، وأما إن لم يطابق واقعه فهو كاذب أما الجاحظ فلم يحصر الخبر في معيار الصدق والكذب، فهو يستبعد انحصار الخبر في الصدق والكذب، ويقرُّ أنَّ الخبر ثلاثة أنواع: صادق وكاذب، وغير صادق ولا كاذب، فالخبر الصادق في رأيه هو الذي يكون مطابق للواقع مع الاعتقاد أنه مطابق، في حين أن الخبر الكاذب هو الذي لا يطابق الواقع مع الاعتقاد انه غير مطابق، إضافةً إلى هذا فالخبر الذي ليس بصادق ولا كاذب قد عده أربعة أنواع وليس نوعًا واحدًا، وهي الخبر المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه غير مطابق، والخبر المطابق للواقع دون اعتقاد أصلاً، والخبر غير المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق، والخبر غير المطابق للواقع دون اعتقاد أصلاً [2].

(٣) أقسام الخبر:

ينقسم الخبر إلى ثلاثة أقسام وذلك قياسًا إلى حالة المخاطب، هي:

أ- **<u>الخبر الابتدائي:</u>** والمقصود به الخبر الذي يوجه إلى السامع دون دراية هذا الأخير شيئًا عن الخبر، ولا يحتاج إلى تأكيد؛ لأنَّ السامع خالي الذهن، فإذا " اندفع في الكلام مخبرًا لزم أن يكون قصده في حكمه بالمسند والمسند إليه في خبره ذاك، إفادته المخاطب، متعاطيًا مناطها بقدر الافتقار، فإذا ألقى الجملة الخبرية إلى من هو خالي الذهن عمَّا يلقى إليه، ليحضر طرفاها عنده، وينتقش في ذهنه استناد أحدهما على الآخر ثبوتًا أو انتفاءً "[3]، وإذا

(١) الصاحبي في فقه اللغة ص ١٣٣.

(٢) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها/ د. أحمد مطلوب ٢/ ٤٦٥، وفي البلاغة العربية ـ علم المعاني/ عبد العزيز عتيق ص ٤٣.

(٣) مفتاح العلوم ص١٧٠..

قال أحدهم: صلاح الدين مريض، وهو في المستشفى، فإنَّ المتلقي خالي الذهن، ولا يعلم أنَّ صلاح الدين مريض.

ب- **الخبر الطلبي:** في هذا القسم يكون المتلقي حائرًا ومترددًا في قبول الخبر، مما يستلزم من المتكلم استعمال أدوات التوكيد لتأكيد خبره، وإقناع المستمع، لهذا يقول السكاكي في هذا الشأن:" وإذا ألقاها على طالب لها متحير طرفاها عنده دون الاستناد فهو منه بين بين لينقذه عن ورطة الحيرة استحسن تقوية المنقذ بإدخال اللام في الجملة أو إنَّ "[(١)]، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [(٢)].

ت- **الخبر الإنكاري:** المقصود به هو ذلك الخبر الذي يوجه إلى المخاطب، ويقوم هذا الأخير بإنكاره ولا يعترف به، مما يستدعي من المخاطب تأكيد كلامه بأكثر من جملة، وذلك حسب درجة إنكار المستمع ولهذا يقول القزويني:" وإن كان حاكمًا بخلافه وجب توكيده بحسب الإنكار"[(٣)]، ومثالاً على ذلك ما ورد في سورة البقرة ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴾ [(٤)].

والخبر يقوم على دعامتين أساسيتين وهما: إفادة السامع خبرًا جديدًا لم يكن على علم به من قبل الخبر، كأن تقول المعلمة لتلاميذها " غدًا ستذهبون في رحلة"، وهم لم يعلموا بذلك، والدعامة الثانية: هي إفادة السامع بالخبر، وهو على علم به كان " أقول العطلة غدًا ويجيب السامع أجل" ويصرح محمود أحمد نحلة

(١) مفتاح العلوم ص١٧٠.
(٢) المائدة: من الآية (١٣).
(٣) الإيضاح في علوم البلاغة ١/ ٧٠.
(٤) البقرة: من الآية (٧٠).

في هذا الشأن " أن الخبر إذا ألقي إلى من يجهله سمي "فائدة الخبر" وإذا ألقي إلى من لا يجهله سمى "لازم الفائدة"[١].

(٤) مؤكدات الخبر:

بعد أن تطرقنا في العنصر السابق إلى أقسام الخبر نجد أن المخاطب الذي يُلقَى إليه الخبر يكون متردد في قبوله مما يستلزم تأكيده، ويصرح محمود أحمد نحلة في هذا الشأن أن الخبر يؤكد لإزالة شك وتردد وإنكار المخاطب له، ويصرح أيضًا أن لتأكيده وسائل معينة منها ما يدخل على الجملة الاسمية (إنَّ، لام الابتداء، إما الشرطية، ضمير الفاصل والباء)، ومنها ما يدخل على الجملة الفعلية (قد، نونا التوكيد الثقيلة والخفيفة والسين)، ومنها ما يدخل على الجملتين الفعلية والاسمية ومن بينها (القسم، إنْ الزائدة، والقصر) [٢].

(٥) الأغراض البلاغية للخبر:

إنَّ الخبر لا يقتصر على " فائدة الخبر ولازم الفائدة" بل يؤدي أغراض ومعاني مختلفة باختلاف السياقات التي يرد فيها، وهي: الفخر والإعجاب، المدح، التحسر والحزن وإظهار اللوعة، التوبيخ والتأنيب، الوعظ والإرشاد [٣].

****

(١) البلاغة العربية علم المعاني / محمد محمود نحلة ص ٤٣، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها/ د. أحمد مطلوب ٢/ ٤٦٧.

(٢) ينظر: البلاغة العربية علم المعاني / محمد محمود نحلة ص ٤٥ ـ ٤٧.

(٣) الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني) أيمن عبد الغني ص ٣٢٩، ٣٣٠.

ثانيًا: الإنشاء" لغةً واصطلاحًا":

(١)في اللغة:

وردت مادة نشأ في معاجم اللغة؛ حيث يقول الزمخشري:" أنشأ الله تعالى الخلق فنشأوا، " وننشئهم النّشأة الأخرى ...وإنه لينشأ لإبل فلان: ليعينها أي يعرض لها. ونشأت في بني فلان، ومولدي ومنشئي فيهم" [١].

(٢) في الاصطلاح:

سبق وأن ذكرنا أن الطلب استعمل في مقابل الإنشاء في التراث العربي؛ إذ كان يُعَبَّر عن مفهوم "الإنشاء" في مؤلفات السواد الأعظم منهم بمصطلح "الطلب"[٢]، ويعرفه الجرجاني بقوله:" قد يقال على الكلام الذي ليس لنسبته خارجٌ تطابقه أو لا تطابقه، وقد يقال على فعل المتكلم، أعني إلقاء الكلام الإنشائي"[٣].

ويقول بعض العلماء:" يجري مصطلح الإنشاء على نوع من الكلام ينشئه صاحبه ابتداءً دون أن تكون له حقيقة خارجية يطابقها أو يخالفها فلا يحتمل لذلك الصدق ولا الكذب" [٤]، وهذا يعني أن الإنشاء بعيد كل البعد عن معياري الصدق والكذب، وإنما هدفه الوحيد هو البحث عن المعاني الخارجية التي تطابق لفظه، أو بمعنى آخر:" هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته؛ وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه"[٥].

---

(١) أساس البلاغة ٢/ ٢٦٨(ن ش أ).

(٢) ينظر على سبيل المثال: مفتاح العلوم ص١٦٥، وكتاب الحروف/ للفارابي ص١٦٢ (وما بعدها).

(٣) التعريفات/ للجرجاني ص ٣٨.

(٤) دروس في البلاغة العربية/ الأزهر الزناد ص ١٠٥.

(٥) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١/ ٣٣٢، وفي البلاغة العربية علم المعاني ص ٦٩، وينظر: أفعال الكلام في سورة مريم ص ٥٤.

(٣) أقسام الإنشاء:

ينقسم الإنشاء إلى قسمين: طلبي وغير طلبي:

أ) **<u>الإنشاء الطلبي:</u>** وهو ذلك الإنشاء الذي يستلزم طلبًا غير متوقع، وإن صح التعبير هو إنجاز فعل لم يصرح به، "والطلب يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل حاصل"[(١)]؛ ولهذا يخرج الطلب إلى أغراض مختلفة باختلاف مقاصد المتكلم، "ويكون خاصةً في: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء، يضاف إليها: العرض، والتخصيص، والدعاء، والالتماس"[(٢)]، وفيما يأتي تعريف كلٍّ من الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء.

❖ **<u>الأمر:</u>** هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء. ويكون ممن هو أعلى إلى من هو أقل منه. وللأمر أربع صيغ وهي: فعل الأمر، المضارع المقترن بلام الأمر، اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر[(٣)].

أ- فعل الأمر: كقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[(٤)].

ب- المضارع المقترن بلام الأمر: مثل فليعلم الصابر أن مثواه الجنة.

ت- اسم فعل الأمر: عليكم بالصلاة فإنها تنهي عن الفحشاء والمنكر.

ث- المصدر النائب عن فعل الأمر: كقوله تعالى: ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾[(٥)].

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ٣/ ٥٢.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١/ ٣٣٢، وعلوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) / محي الدين ديب ورفيقه، ص ٢٨٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق، وفي البلاغة العربية علم المعاني ص ٨٤.

(٤) الإخلاص: الآية (١).

(٥) مريم: الآية (٣٢).

❖ **النَّهي:** هو طلب الكف عن القيام بشيءٍ ما، وهو عكس الأمر، وقد تخرج صيغة النهي عن معناها الأصلي إلى معاني أخرى تستنبط من خلال سياق الكلام؛ حيث" إن استعمل على سبيل التضرع كقول المبتهل إلى الله لا تكلني إلى نفسي سمي دعاء، وإن استعمل في حق المساوي الرتبة لا على سبيل الاستعلاء سمي التماسًا، وإن استعمل في حق المستأذن سمي إباحة، وإن استعمل في مقام تسخط الترك سمي تهديدًا"(١).

❖ **الاستفهام:** يراد بالاستفهام الاستفسار عن شيء مجهول وعلى ذلك فهو" طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل، وهو الاستخبار الذي قالوا فيه إنه طلب خبر ما ليس عندك؛ أي طلب الفهم"(٢)، وقد وُضع للاستفهام أدوات كثيرة، وهي نوعان: الأسماء والحروف.

أ- **الأسماء:** وهي (ما، منْ، كم، كيف، أين، أنى، متى، أيان)، فهذه الأسماء لا يطلب بها إلا التصور؛ وذلك على النحو الآتي:

- **ما:** يطلب بها شرح الشيء، نحو " ما البلاغة؟".
- **من:** للسؤال عن الجنس، نحو " من هذا؟".
- **أيُ:** للسؤال عن عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما، مثل: " أي الثياب عندك؟".
- **كم:** للسؤال عن العدد، مثل: " كم كتابًا عندك؟".
- **كيف:** للسؤال عن الحال، مثل:" كيف محمد؟".
- **أين:** للسؤال عن المكان، مثل: " أين كنت؟".

(١) مفتاح العلوم ص٣٢٠.

(٢) أساليب بلاغية الفصاحة ـ البلاغة ـ المعاني/ أحمد مطلوب ص ١١٨.

- **أنى:** تستعمل تارةً بمعنى كيف، كقوله تعالى:﴿ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ ﴾ [(١)]، وتارةً بمعنى "من أين"، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ ﴾ [(٢)]، وتارةً بمعنى "متى" مثل:" أنَّى تسافر؟".
- **متى:** للسؤال عن الزمان، مثل:" متى جئت؟".
- **أيَّان:** للسؤال عن الزمان، كقوله تعالى: "﴿ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [(٣)]، وكقوله: ﴿ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾ [(٤)].

ب- **<u>الحروف</u>:** يدخل في الحروف كل من الهمزة، وهل، حيث تستعمل الهمزة لطلب التصديق أو التصور، مثل: " أقرأ عمر؟"، أما "هل" فتستعمل لطلب التصديق فحسب، مثل: هل قرأ عمر الكتاب؟[(٥)].

- ❖ **<u>التَّمنّي</u>:** يعرفه السكاكي بأنه:" طلب كون غير الواقع فيما مضى واقعاً فيه مع حكم العقل بامتناعه"[(٦)]؛ أي طلب وقوع أمر نحبه وبذلك يستحيل وقوعه، مثل: ليت الشباب يعود يومًا.
- ❖ **<u>النداء</u>:** هو دعوة المتكلم المنادى للإقبال، وهذا من خلال استعمال النداء فهناك ما يستعمل للنداء القريب وهي: الهمزة، وأيُّ، ومنها ما يستعمل للنداء البعيد، وهي: يا، أيا، هيا، وا، هذا [(٧)].

---

(١) البقرة: من الآية (٢٥٩).

(٢) آل عمران: من الآية (٣٧).

(٣) القيامة: الآية (٦).

(٤) الذاريات: الآية (١٢) وينظر: أساليب بلاغية الفصاحة ص ١١٩، ١٢٠.

(٥) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ٣/ ٥٥، ٥٧.

(٦) مفتاح العلوم ص ٣٠٣.

(٧) في البلاغة العربية علم المعاني/ محمود أحمد نحلة ص ١٠٢.

ب) **<u>الإنشاء غير الطلبي:</u>** هو ما لا يراد به طلب شيء، ويشمل أربعة أشياء: التعجب، المدح، الذم، القسم"[١].

❖ **التعجب:** هو "انفعال النفس عمَّ خُفي سببه"[٢]، فالتعجب إذن هو انفعال داخلي يحدث في نفس المتكلم حين يندهش من شيء ما، "وللتعجب شكلان لا يقبلان تقديمًا ولا تأخيرًا في عناصرهما:

- ما + فعل التعجب + مكوَّن منصوب (مفعول به): ما أجمل الوردة!
- أفعل+ بـ+ مكون مجرور(فاعل): أكْرِمْ بزيد (أي ما جعلها حسنة؟)"[٣].

❖ **المدح والذم:** يستعمل المدح عند استحسان شيء ما، أما الذم فيستعمل عند **استكراه** شيء ما، فالمدح وفقًا لما ذكره الجرجاني "هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصدًا"[٤]، ومن ألفاظه:" نعم، حبذا"، مثل: نعم الإحسان إحسانك، أما ألفاظ الذم فهي "بئس، لا حبذا"، مثل: بئس الإحسان إحسانك.

ولا يظهر المدح والذم في أي من الأزمنة الثلاثة، وليس المراد منه الإخبار عن شيء ما، وإنما الغرض من المدح الحكم على جودة شيء ما الحاصلة خارجًا، ويقاس الذم لشيء لرداءة حاصلة في الخارج، والدور الذي يلعبه المتكلم في المدح والذم ليس الوصف بالجودة أو الرداءة الواقعتين في الخارج وإنما هو الاستحسان في المدح والتقبيح في الذم [٥].

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها١/ ٣٣٢، الكافي في البلاغة ص٣٦٤.
(٢) التعريفات ص ٦٢.
(٣) دروس في البلاغة العربية/ الأزهر الزناد ص ١٣٩.
(٤) التعريفات/ للجرجاني ص ٢٠٧.
(٥) ينظر: التداولية عند العلماء العرب ص ٢٠.

❖ **القسم:** يعرف القسم بأنه الحَلْفُ (الحَلِفُ) أو اليمين، ومن حروفه نجد (الواو، الباء، التاء)، أما أركانه فتتمثل في حروف القسم، مقسم به ومعناه ان نقسم بشيء عظيم، ومقسم عليه، وهو إجابة للقسم، على نحو قولنا: والله إن الزكاة صدقة [١].

هذا وعندما نحاول تطبيق ظاهرة الأفعال الكلامية على النص القرآني ــ كما سيأتي فيما بعد ــ يتبادر إلى الذهن بعض التساؤلات، ومنها:

- كيف يمكن أن نضع أو نخضع النص القرآني ـ وهو نص خاص ومتميز عولج عند اللغويين ضمن مجاز القرآن وعند المتكلمين في إطار تأويل المشكل وتقنين المجاز ــ كل هذا داخل في فهم التنزيه عن الشذوذ والتناقض، ثم تلاه البحث عن المزية البديعية ضمن سؤال الإعجاز وهذا العمل يلتقي مع عمل اللغويين والأسلوبين المحدثين على استكشاف مالم يستوعبه النحو ولم تستوعبه المعايير الصرفة، وكيف نخضعه إلى دراسة لغوية تمارس عليه سلطة التحليل كباقي النصوص الأخرى؛ لأن الكلام كثر قبله وطال؟ [٢]"
- ما دور الأفعال الكلامية بوصفها ظاهرة تداولية في توجيه المعنى في النص القرآني؟
- كيف يمكن أن نصل من خلال النص القرآني إلى اللغة، وما يردفه من توجيه وإرشاد للمتلقين والمخاطبين؛ فيما يعرف بالدراسة التداولية [٣]... هذا ما سوف نتعرف عليه من خلال الدراسة التطبيقية لأفعال الكلام في سورة يونس

(١) ينظر: الكافي في البلاغة ص ٢٧٤، وأفعال الكلام في سورة مريم ص ٥٨ ــ ٥٩.
(٢) ينظر: البلاغة العربية أصولها وامتدادها/ د. محمد العمري ص ٢٨.
(٣) ينظر: الأفعال الكلامية في آيات التعجيز في القرآن الكريم ـ دراسة تداولية/ د. أمل عبد الفتاح أحمد ٩٦٥، ٩٦٦.

(موضوع هذا البحث) فيما يأتي، ومهما كانت الانطباعات والتصورات بشأن دلالة الأفعال الكلامية وانماطها، ومميزاتها، ومرجعياته، فإنها تنم عن العائد الدلالي لكيفيات الأداء المتميز، والقدرة الكامنة لمستوياتها التي تعجز بُنَى الألفاظ المألوفة عن تحقيقها... لذلك سأقوم بتناول هذه الأفعال الكلامية في سورة يونس فيما يأتي للوقوف على التداولية بها؛ وللوقوف على مكنوناتها من المعاني والدلالات الخفية وذلك فيما يأتي:

الفصل الثاني

دراسة تطبيقية لأفعال الكلام في سورة يونس

تمهيد:

إنَّ القرآن الكريم هو الكلام الإلهي المنزل على الرسول (ﷺ)، وجاء لهداية الناس كافة وإرشادهم ونصحهم في اتباع الطريق المستقيم، فأمَّا من استجاب لهذا النصح فقد وعده الله تعالى بالجنَّة، وأمَّا من خالف هذا الطريق فيتوعَّده بعذابٍ عسير في جهنم، وهذا ما يتَّضح في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾ (١).

إضافةً إلى ذلك فالقرآن الكريم باعتباره نص تأثيري فإنه لا يفصح عن معانيه الضمنية والتي لا نفهمها إلا من خلال السياق، وهذا بالتحديد ما يتجسَّد في نظرية الأفعال الكلامية (٢).

وانطلاقًا من هذه المعطيات سوف نتناول فيما يأتي الأفعال الكلامية في سورة يونس وفق تقسيمات "سيرل" للأفعال الكلامية، والتي نجد لها صدىً في هذه السورة؛ حيث نقوم بتحليل السورة وفق هذه التقسيمات، ولكن قبل البدء في ذلك لابد أن نتعرف على السورة وما يحيط بها من أغراض وقصص، وذلك فيما يأتي:

(١) الإسراء: الآية (٩٧).

(٢) الأفعال الكلامية في سورة مريم ص ٦١.

المبحث الأول

التعريف بسورة يونس

أولاً: حول السورة وسبب نزولها:

سورة يونس هي السورة العاشرة بترتيب سور المصحف الشريف، تقع بالجزء الثاني عشر وعدد آياتها تسع ومائة آية، تأتي بترتيب سور القرآن الكريم بعد سورة التوبة وقبل سورة هود، وحسب ابن عباس –رضي الله عنهما– أن السورة مكية إلا هذه الآية الكريمة حيث نزلت في المدينة المنورة﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [(١)]، وهِيَ السُّورَةُ الْحَادِيَةُ وَالْخَمْسُونَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ. نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَبْلَ سُورَةِ هُودٍ. وَأَحْسَبُ أَنَّهَا نَزَلَتْ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ بَعْدَ الْبِعْثَةِ لِمَا سَيَأْتِي عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَاۚ ﴾ [(٢)]، وَعَدَدُ آيِهَا مِائَةٌ وَتِسْعُ آيَاتٍ فِي عَدِّ أَكْثَرِ الْأَمْصَارِ، وَمِائَةٌ وَعَشْرٌ فِي عَدِّ أَهْلِ الشَّامِ [(٣)].

ثانيًا: سبب التسمية:

سُمِّيَتْ فِي الْمَصَاحِفِ وَفِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالسُّنَّةِ سُورَةَ يُونُسَ؛ لِأَنَّهَا انْفَرَدَتْ بِذِكْرِ خُصُوصِيَّةٍ لِقَوْمِ يُونُسَ، أَنَّهُمْ آمَنُوا بَعْدَ أَنْ تَوَعَّدَهُمْ رَسُولُهُمْ بِنُزُولِ الْعَذَابِ فَعَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ لَمَّا آمَنُوا. وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [(٤)]. وَتِلْكَ الْخُصُوصِيَّةُ كَرَامَةٌ لِيُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرٌ لِيُونُسَ غَيْرَ ذَلِكَ. وَقَدْ

---

(١) يونس: الآية (٤٠)، وينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس/ المنسوب لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما ص ١٦٩.

(٢) يونس: الآية (٢١).

(٣) التحرير والتنوير ١١/ ٧٧.

(٤) يونس: الآية (٩٨).

ذُكِرَ يُونُسُ فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ بِأَوْسَعَ مِمَّا فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَلَكِنَّ وَجْهَ التَّسْمِيَةِ لَا يُوجِبُهَا. وَالْأَظْهَرُ عِنْدِي أَنَّهَا أُضِيفَتْ إِلَى يُونُسَ تَمْيِيزًا لَهَا عَنْ أَخَوَاتِهَا الْأَرْبَعِ الْمُفْتَتَحَةِ بِـ ﴿الٓرٓ﴾. وَلِذَلِكَ أُضِيفَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا إِلَى نَبِيءٍ أَوْ قَوْمِ نَبِيءٍ عِوَضًا عَنْ أَنْ يُقَالَ: ﴿الٓرٓ﴾ الْأُولَى و﴿الٓرٓ﴾ الثَّانِيَةُ. وَهَكَذَا فَإِنَّ اشْتِهَارَ السُّوَرِ بِأَسْمَائِهَا أَوَّلُ مَا يَشِيعُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِأُولَى الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَقَعُ فِيهَا وَخَاصَّةً إِذَا كَانَتْ فَوَاتِحُهَا حُرُوفًا مُقَطَّعَةً فَكَانُوا يَدْعُونَ تِلْكَ السُّوَرَ بِآلِ حم وَآلِ الر وَنَحْوِ ذَلِكَ [1].

ثالثًا: أَغْرَاضِ ومقاصد السُّورَةِ:

سورة يونس غنيَّة بمعانيها ودروسها وورد فيها الكثير من المقاصد والعبر والتعاليم الإسلامية ومن مقاصد سورة يونس أنها اعتنت بالحديث عن الموعظة والدعوة بالترغيب، وتضمنت موعظةً وشفاءً لما في الصدور بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [2] بالإضافة لذِكر قوم يونس –عليه السلام– وكشف الله تعالى عنهم العذاب بعد إيمانهم وتعتبر هذه القصة أبرز ما جاء بالسورة الكريمة.

وسلطت آيات السورة الضوء على أصول عقائد الإسلام وهي توحيد الله تعالى، والوحي والرسالة، والبعث والجزاء، وبينت إعجاز القرآن الكريم وأحقيته وصدق وعده، وبينت فضل الله تعالى على عباده وتدبيره لأمورهم ورحمته بهم، وعلمه بشؤون الناس المخفية والمُعلنة، كما بينت حقيقة القرآن المُنزل من الله سبحانه لهداية الناس، وبيان الإيمان بالكُتب والرُسل، بالإضافة لبيان أمر النبوة بشكل عام ورسالة النبي محمد (ﷺ) بشكل خاص.

(١) التحرير والتنوير ١١/ ٧٨.

(٢) يونس: الآية (٥٧).

ومن مقاصد سورة يونس أنها بينت عقيدة البعث والجزاء وتذكير الناس برجوعهم إلى ربهم الذي بدأ الخلق بأجناسه وأنواعه المختلفة، ووضحت بأن جزاء الآخرة أثر لازم لسلوك العبد في الدنيا، وذُكر بالسورة الكريمة بيان صفات البشر وعاداتهم مع الصفات الذميمة التي يجب معالجتها بالوازع والخُلُق الديني، ووضحت السورة أن مفهوم الإيمان التصديق الإذعاني الجازم بما جاء به النبي (ﷺ) من الدين ويستلزم العمل به، أما مفهوم الإسلام فهو التسليم والانقياد بالفعل.

وجاء في مقاصد سورة يونس دليل على أنَّ مُلك الله تعالى لا شريك له وأن القرآن من عنده وأن عذاب الله لا ينزِل بالقوم المؤمنين وإنما بالقوم المُكذبين بسبب كفرهم وفسادهم في الأرض وقصة قوم يونس(عليه السلام) خير دليل.

هذا وقد ابْتُدِئَتْ السُّورة بِمَقْصِدِ إِثْبَاتِ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ (ﷺ) بِدَلَالَةِ عَجْزِ الْمُشْرِكِينَ عَنْ مُعَارَضَةِ الْقُرْآنِ، دَلَالَةً نُبِّهَ عَلَيْهَا بِأُسْلُوبٍ تَعْرِيضِيٍّ دَقِيقٍ بُنِي عَلَى الْكِنَايَةِ بِتَهْجِيَةِ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ ـ كَمَا تَقَدَّمَ فِي مُفْتَتَحِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ـ وَلِذَلِكَ أُتْبِعَتْ تِلْكَ الْحُرُوفُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[1] إِشَارَةً إِلَى أَنَّ إِعْجَازَهُ لَهُمْ هُوَ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَقَدْ جَاءَ التَّصْرِيحُ بِمَا كُنِيَ عَنْهُ هُنَا فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾[2].

وَأُتْبِعَ بِإِثْبَاتِ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ (ﷺ) وَإِبْطَالِ إِحَالَةِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُرْسِلَ اللَّهُ رَسُولًا بَشَرًا. وَانْتُقِلَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى إِثْبَاتِ انْفِرَادِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْإِلَهِيَّةِ بِدَلَالَةِ أَنَّهُ خَالِقُ الْعَالَمِ وَمُدَبِّرُهُ، فَأَفْضَى ذَلِكَ إِلَى إِبْطَالِ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ شُرَكَاءُ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَإِلَى إِبْطَالِ مَعَاذِيرِ الْمُشْرِكِينَ بِأَنَّ أَصْنَامَهُمْ شُفَعَاءُ عِنْدَ اللَّهِ.

(١) يونس: الآية (١).

(٢) يونس: من الآية (٣٨).

وَأُتْبِعَ ذَلِكَ بِإِثْبَاتِ الْحَشْرِ وَالْجَزَاءِ. فَذَلِكَ إِبْطَالُ أُصُولِ الشِّرْكِ.

وَتَخَلَّلَ ذَلِكَ بِذِكْرِ دَلَائِلَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَبَيَانِ حِكْمَةِ الْجَزَاءِ، وَصِفَةِ الْجَزَاءِ، وَمَا فِي دَلَائِلِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنْ حِكَمٍ وَمَنَافِعَ لِلنَّاسِ. وَوَعِيدِ مُنْكِرِي الْبَعْثِ الْمُعْرِضِينَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَبِضِدِّ أُولَئِكَ وُعِدَ الَّذِينَ آمَنُوا.

فَكَانَ مُعْظَمُ هَذِهِ السُّورَةِ يَدُورُ حَوْلَ مِحْوَرِ تَقْرِيرِ هَذِهِ الْأُصُولِ (١).

فَمِنْ ذَلِكَ التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ إِمْهَالَ اللَّهِ تَعَالَى الْكَافِرِينَ دُونَ تَعْجِيلِ الْعَذَابِ هُوَ حِكْمَةٌ مِنْهُ. وَمِنْ ذَلِكَ التَّذْكِيرُ بِمَا حَلَّ بِأَهْلِ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ لَمَّا أَشْرَكُوا وَكَذَّبُوا الرُّسُلَ.

وَالِاعْتِبَارُ بِمَا خَلَقَ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ مَوَاهِبِ الْقُدْرَةِ عَلَى السَّيْرِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَمَا فِي أَحْوَالِ السَّيْرِ فِي الْبَحْرِ مِنَ الْأَلْطَافِ.

وَضَرْبُ الْمَثَلِ لِلدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا وَزَوَالِهَا، وَأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ السَّلَامِ.

وَاخْتِلَافُ أَحْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي الْآخِرَةِ، وَتَبَرُّؤُ الْآلِهَةِ الْبَاطِلَةِ مِنْ عَبَدَتِهَا. وَإِبْطَالُ إِلَهِيَّةِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، بِدَلِيلِ أَنَّهَا لَا تُغْنِي عَنِ النَّاسِ شَيْئًا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ. وَإِثْبَاتُ أَنَّ الْقُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّ الدَّلَائِلَ عَلَى بُطْلَانِ أَنْ يَكُونَ مُفْتَرًى وَاضِحَةٌ.

وَتَحَدِّي الْمُشْرِكِينَ بِأَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، وَلَكِنَّ الضَّلَالَةَ أَعْمَتْ أَبْصَارَ الْمُعَانِدِينَ.

وَإِنْذَارُ الْمُشْرِكِينَ بِعَوَاقِبِ مَا حَلَّ بِالْأُمَمِ الَّتِي كَذَّبَتْ بِالرُّسُلِ، وَأَنَّهُمْ إِنْ حَلَّ بِهِمُ الْعَذَابُ لَا يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَلْحَقْ قَوْمَ يُونُسَ لِمُصَادَفَةِ مُبَادَرَتِهِمْ بِالْإِيمَانِ قَبْلَ حُلُولِ الْعَذَابِ. وَتَوْبِيخُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى مَا حَرَّمُوهُ مِمَّا أَحَلَّ اللَّهُ مِنَ الرِّزْقِ. وَإِثْبَاتُ عُمُومِ الْعِلْمِ لِلَّهِ تَعَالَى

(١) التحرير والتنوير ١١/ ٧٨، ٧٩.

رابعًا: قصة يونس (عليه السلام):

وردت قصة الأنبياء (عليهم السلام) بأكثر من موضع بالقرآن الكريم، وذكر الله تعالى قصة يونس (عليه السلام) بالسورة التي حملت اسمه، حيث أرسله رب العالمين إلى أرض نينوى التي تقع بالموصل شمال العراق، وبعد أن دعاهم إلى توحيد الله تعالى كذبوه واستمروا على كُفرهم، فلما طال الأمر خرج من بين أظهرهم ووعدهم حلول العذاب عليهم ولم يصبر عليهم كما أمر الله –عز وجل–، فابتلاه الله تعالى بشدة الضيق والحبس في بطن الحوت بالبحر، بعد أن ركب سفينة مملوءة بالراكبين فثقلت بهم وماجت وكادوا يغرقون، فتشاوروا فيما بينهم على أن يقترعوا فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة ليخففوا الحمل عن السفينة، ووقعت القرعة على النبي يونس (عليه السلام) والذي ألقى نفسه بالبحر، ثم بعث الله تعالى حوتًا عظيمًا فَالْتَقَمَه، وأمره ألا يأكل لحمه ولا يهشم عظامه، فقضى نبي الله في بطن الحوت وقتًا يعلمه رب العالمين، ثم أمر الحوت أن يلقيه في أرض خالية من الشجر والبناء، وكان ضعيف البدن ليُنبت الله تعالى شجرة من القرع تظلُه وينتفع بها حتى عاد إلى عافيته، فخاف قوم النبي يونس (عليه السلام) من العذاب لما فارقهم وندموا على ما كان بهم من تفريط وتكذيب فتضرعوا إلى الله فكشف عنهم برحمته العذاب وعندما عاد إليهم النبي وجدهم مؤمنين بالله ليمتعهم الله بالحياة وكان عددهم مائة ألف أو يزيدون، كما وضحت الآية الكريمة: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[1].

(١) يونس: الآية (٩٨)، وينظر: التفسير الكبير / للرازي ٢٢/ ١٧٨، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٢١، وتيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن/ عبد الرحمن بن ناصر ص ٢٣٧.

المبحث الثاني

الأفعال الكلامية في سورة يونس وفق تقسيمات "سيرل"

المطلب الأول

الطلبيات (التوجيهيَّات) Commissives

وهي تضم كل الأفعال الكلامية الدالة على الطلب بغض النظر عن صيغتها، ويتمثل غرضها الإنجازي في التأثير في المتكلم ليفعل شيئًا أو يخبر عن شيء [(١)]، وهي "محاولة المتكلم جعل المستمع أو المخاطب يتصرف بطريقة تجعل تصرُّفه متلائمًا مع المحتوى الخبري للتوجيه، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثَّل في الإرادة أو الرغبة الصادقة، والمحتوى القضويّ فيها دائمًا فعل السامع شيئًا في المستقبل. ويدخل في هذا الصنف (الاستفهام، والأمر، والرجاء، والاستعطاف، والتشجيع، والدعوة، والإذن، والنصح، والتحدي). والتوجيهيَّات لا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، وإنما يمكن أن تُطاع، أو تُهمل، أو يخضع لها، أو تُسْتَنْكر"[(٢)].

وفيما يأتي نتناول بالدراسة الأثر التداولي للأفعال الكلامية في الأساليب الطلبية الواردة في سورة يونس؛ حيث نبدأ بأول هذه الأساليب، وهو " الاستفهام"، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: الأثر التداولي لأفعال الكلام في أسلوب الاستفهام

توطئة:

نتناول في هذا الجانب التطبيقي من البحث عددًا من الأساليب الطلبية التداولية، وأول هذه الأساليب هو أسلوب الاستفهام؛ حيث ذكر العلماء أن هذا

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص٧٩، وأفعال الكلام في قصة كليم الرحمن موسى (عليه السلام)/ الأستاذة ابتسام بن خراف ص ٣٤٨.

(٢) الأفعال الكلامية في سورة الأنفال ص ٢٧٩.

الأسلوب من الأساليب الطلبية التي مثَّلت الأفعال الكلامية، وكان لها عظيم الأثر في إثراء الدراسة التداولية بمعانٍ وتعبيراتٍ تداولية كثيرة؛ حيث رصد العلماء في العصر الحديث ذلك وتناولوه بالدراسة والتحليل؛ وهذه الدراسة تكملةً لما ذكروه من خلال هذا النص القرآني (سورة يونس)، فقد اهتدى (سيرل) إلى أنواع أخرى من الأفعال الكلامية، ميزتها أن دلالاتها الفعلية لا تظهر صريحة في عبارة المتكلم، إنما تأويل هذه الدلالة وفهمها يحتاج إلى العودة لعوامل السياق المحيطة بالمتخاطبين، وهو الأمر الذي جعل المخاطب يُؤول استفهام المخاطب على أنه طلب، أو لنقل استفهامًا طلبيًا [١].

والاستفهام: مصدر الفعل (استفهم)، " واسْتَفْهَمه: سأَله أَنْ يُفَهِّمَه. وَقَدِ اسْتفْهَمَني الشيءَ فأَفْهَمْته وفَهَّمْته تَفْهِيمًا"[٢]، فسؤال الفهم طلب السائل أن يخبره المسؤول عمَّا يسأل؛ ولذلك ساوى ابن فارس بين معنى الاستفهام والاستخبار، فقال: " الاستخبار، طلب خُبْر ما ليس عن المستخبر، وهو الاستفهام"[٣].

هذه الدلالة اللغوية انطلق منها البلاغيون القدامى إلى تقسيم الاستفهام إلى حقيقي ومجازي أو بلاغي، والحقيقي: ما طلب به السائل أن يعلم ما ليس عنده علم به، والمجازي: ما انحرف من هذه الدلالة إلى دلالات أخرى أو معانٍ أُخَرٍ حسب الموقف والسياق وقرائن الأحوال.

ولأسلوب الاستفهام أثر طيب في القرآن الكريم وخاصة في سورة يونس، كما أن له دورٌ كبيرٌ في العملية الحجاجية؛ "نظرًا لما يعمله من جلب القارئ أو المستمع في عملية الاستدلال، بحيث إنه يشركه بحكم قوة الاستفهام

(١) ينظر: نظرية الأفعال الكلامية وإعادة قراءة التراث العربي/ مقال للدكتور عمر بلخير ص٦٩.

(٢) لسان العرب ١٢/ ٤٥٩ (ف هـ م).

(٣) الصاحبي في فقه اللغة ص ١٣٤.

وخصائصه، فهو أسلوب إنشائي. وهذه الأمور أيضًا هي من سمات الاستفهام البلاغي في القرآن الكريم، بحيث إنه يخدم مقاصد الخطاب، ويلعب دورًا أساسًا في الإقناع بالحجة"[١]. فللاستفهام بنية إعجازية تقوم على طرح القضية المخصوصة، ثم تقديم ما يشرحها ويعلِّلها.

وقد وُظِّف الاستفهام في "سورة يونس" حول قضية تتمحور حولها الآيات، وهي قضية (الأفعال الكلامية)، فهي تقتضي البيان وقرع الحجة على ذلك، الأمر الذي سأوضحه من خلال ما يلي من آيات خرج فيها الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي نتوصل إليه من خلال المقام والموقف الذي قيل فيه الاستفهام والمستخدَم في إنجاز الأفعال الكلامية بطريقة غير مباشرة، وبذلك يكون" تركيب الاستفهام من أهم التراكيب التي اعتمدها القرآن الكريم في المجادلة، لما لهذا الأسلوب من قدرةٍ على حمل المجادل على التفكير والتأمل؛ ليدخل دائرة الإقناع، ويسير على خطى الحقيقة ، فيصل إلى القناعة الذاتية"[٢].

وللاستفهام أدوات منها:(ما، متى، أين، أيان، أنَّى، كيف، كم، أي). فهذه الأدوات السابقة وُضِعت للاستفهام، ولكنها قد تخرج عن هذا الوضع إلى أغراض يمكن أن تُفهم من السياق؛ وأهم هذه الأغراض: "التقرير، الإنكار، التعجب، الوعيد والتخويف، الأمر، النهي، التهكم، الاستبعاد، التهويل، التحقير، الاستبطاء، التعظيم، النفي، التسوية. وغيرها [٣]. هذه الأغراض المجازية هي ما

(١) البنية الحجاجية في القرآن الكريم، (سورة النمل نموذجًا) للحواس مسعودي ص ٣٤١، ٣٤٢.

(٢) بنى الجدل في الخطاب القرآني/ خولة عبد الحميد ص ١١٥.

(٣) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني/ د. فضل حسن عباس ص ١٦٨.٢٠١(بتصرف).

أطلق عليها اسم الأغراض الإنجازية التي تتعلق بالأفعال الكلامية، والتي سنقف عليها فيما يأتي:

١) (الإنكـار)

قال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (١)

المعنى العام للآية:

ذكر القرطبي في سَبَبُ نزُولِ الآية: فِيمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الْكُفَّارَ قَالُوا لَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ: إِنَّ اللَّهَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ بَشَرًا. وَقَالُوا: مَا وَجَدَ اللَّهُ مَنْ يُرْسِلُهُ إِلَّا يَتِيمَ أَبِي طَالِبٍ، فَنَزَلَتْ:" أَكانَ لِلنَّاسِ" يَعْنِي أَهْلَ مَكَّةَ" عَجَباً"(٢). وَقِيلَ: إِنَّمَا تَعَجَّبُوا مِنْ ذِكْرِ الْبَعْثِ، فهو إنكار لتعجبهم من سنة الله الجارية وهي الإيحاء إلى رجل، وكان ذلك لبعدهم عن مقامهم وعدم مناسبة حالهم لحاله ومنافاة ما جاء به لما اعتقدوه، أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ أي خوفهم من أن يشركوا بي شيئا، وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ سابقة عظيمة وقربة ليس لأحد مثلها، وقيل: سابقة رحمة أودعها في محمد(ﷺ)(٣).

الشرح والتحليل:

كما أنكر المولى ـ سبحانه وتَعَالَى ـ في الآية السابقة عَلَى مَنْ تَعَجَّبَ مِنَ الْكُفَّارِ مِنْ إِرْسَالِ الْمُرْسَلِينَ مِنَ الْبَشر، فقال تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ (٤)، وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما): لَمَّا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا (ﷺ) رَسُولاً أَنْكَرَتِ الْعَرَبُ ذَلِكَ أَوْ مَنْ

(١) يونس: من الآية (٢).
(٢) تفسير القرطبي ٨/ ٣٠٦
(٣) روح المعاني ٦/ ٨٥
(٤) ص: الآية (٥).

أَنْكَرَ مِنْهُمْ فَقَالُوا: اللَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ بَشَرًا مِثْلَ مُحَمَّدٍ قَالَ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ﴾ (١). وعلى ذلك " فالهمزة لإنكار التعجب والتعجيب منه، وإنَّما أنكر ذلك لكون سنة الله جارية أبدًا على هذا الأسلوب في الإيحاء إلى الرجال، وإنَّما كان تعجُّبهم لبعدهم عن مقامه، وعدم مناسبة حالهم لحاله، ومنافاة ما جاء به لما اعتقدوه"(٢).

"فهو سؤال استنكاري. يستنكر هذا العجب الذي تلقى به الناس حقيقة الوحي منذ كانت الرسل"(٣).

الفعل الإنجازي المتضمن في القول (٤):

جاء الإنكار في هذه الآية كفعلٍ إنجازيّ غير مباشر للاستفهام باعتباره فعلاً يحمل أبعادًا تلميحية)؛ حيث أفاد الاستفهام فعلًا إنجازيًّا يتمثَّل في " الإنكار" في قول المولى ﷻ: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ﴾ بقرينة المقام؛ وذلك لعدم استقامة حمل الاستفهام على الاستفهام الحقيقي.

---

(١) هذا الأثر: ورد في تفسير ابن كثير ٤/ ٢١٥، وإيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار/ الفُلَّاني المالكي ص ٤٠.

(٢) تفسير القاسمي (محاسن التأويل) ٦/ ٥.

(٣) في ظلال القرآن/ سيد قطب ٣/ ١٧٥٩.

(٤) كل فعل كلامي ـ كما حدَّد أوستين ـ لا بد أن يتضمن داخله ثلاثة أفعال جزئية، هي:

١. **الفعل اللفظي (الفعل اللغوي أو فعل القول):** وهو يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح، ينتج عنه معنى محدد، وهو المعنى الأصلي وله مرجع يحيل إليه.

٢- **الفعل الإنجازي (الفعل المتضمن في القول):** وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي.٣- **الفعل التأثيري (الفعل الناتج عن القول):** ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع. (آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ٤٥، ٤٦، وتعديل القوة الإنجازية ـ دراسة في التحليل التداولي للخطاب/ د. محمد العبد ص ١٣٦، ١٣٧).

وتأسيسًا على ما تقدم يمكن أن نلمح القوة الإنجازية للفعل الكلامي كما يأتي: – **المحتوى اللفظي** ← كان (فعل)، الهمز (للاستفهام)، (عجبًا) خبر كان.

– **المحتوى القضوي** ← السؤال عن تَعَجَّبَ الْكُفَّارِ مِنْ إِرْسَالِ الْمُرْسَلِينَ مِنَ الْبَشَرِ.

– **القوة الإنجازية والتأثيرية** ← الإنكار على هذا العجب الذي تلقى به الناس حقيقة الوحي منذ كانت الرسل، وإرسال المرسلين من البشر.

تعليق واستنتاج:

ظهر من خلال العرض السابق أن الاستفهام في هذه الآية يحمل غرضًا إنجازيًّا يتمثل في الإنكار عَلَى مَنْ تَعَجَّبَ مِنَ الْكُفَّارِ مِنْ إِرْسَالِ الْمُرْسَلِينَ مِنَ الْبَشَرِ كما أخبر تعالى عن القرون الماضين.

****

٢) (التَّعجُّب)

قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (١)

المعنى العام للآية:

" فَما لَكُمْ" كَلَامٌ تَامٌّ، وَالْمَعْنَى: فَأَيُّ شي لَكُمْ فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ. ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ:" كَيْفَ تَحْكُمُونَ"؛ أَيْ: لِأَنْفُسِكُمْ وَتَقْضُونَ بِهَذَا الْبَاطِلِ الصُّرَاحِ، تَعْبُدُونَ آلِهَةً لَا تُغْنِي عَنْ أَنْفُسِهَا شَيْئًا إِلَّا أَنْ يُفْعَلَ بِهَا، وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فَتَتْرُكُونَ عِبَادَتَهُ، فَمَوْضِعُ" كَيْفَ" نَصْبٌ بـ " تَحْكُمُونَ"(٢).

(١) يونس: من الآية (٣٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه/ للزجاج ٣/٢٢٠، وتفسير القرطبي ٨/ ٣٤١.

الشرح والتحليل:

في الآية السابقة يتعجَّبُ المولى ﷻ من حال المشركين؛ أي:" فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ بما يقتضي صريح العقل بطلانه. وَما يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ فيما يعتقدونه. إِلَّا ظَنًّا مستنداً إلى خيالات فارغة وأقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بأدنى مشاركة موهومة"(١). "فالاسْتِفْهَامِ تَعْجِيبِيٌّ عَلَى اتِّبَاعِهِمْ مَنْ لَا يَهْتَدِي بِحَالٍ. وَاتِّبَاعُهُمْ هُوَ عِبَادَتهم إيَّاهُم. فَما اسْتِفْهَامِيَّةٌ مُبْتَدَأٌ، ولَكُمْ خَبَرٌ، وَاللَّامُ لِلِاخْتِصَاصِ. وَالْمَعْنَى: أَيُّ شَيْءٍ ثَبَتَ لَكُمْ فَاتَّبَعْتُمْ مَنْ لَا يَهْتَدِي بِنَفْسِهِ نَقْلًا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ"(٢).

يقول الرازي:" وَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا قَرَّرَ عَلَى الْكُفَّارِ هَذِهِ الْحُجَّةَ الظَّاهِرَةَ قَالَ: فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؛ يُعَجِّبُ مِنْ مَذْهَبِهِمُ الْفَاسِدِ وَمَقَالَتِهِمُ الْبَاطِلَةِ أَرْبَابَ الْعُقُولِ"(٣). "ما لكم مبتدأ وخبر والاستفهام للإنكار والتعجب؛ أي: أيّ شيء لكم في اتخاذ هؤلاء العاجزين عن هداية أنفسهم فضلا عن هداية غيرهم، وقد قال بعض النحاة إن مثله لا يتم بدون حال بعده نحو: فما لهم عن التذكرة معرضين، وهنا لا حال بعده؛ لأنّ الجملة استفهامية لا تقع حالاً فهي استفهام آخر؛ أي كيف تحكمون بالباطل الذي يأباه العقل من اتخاذ الشركاء دلّه؛ ولذا ذكر فيه عجب بعد عجب" (٤).

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ للبيضاوي ٣/ ١١٢.

(٢) التحرير والتنوير ١١/١٦٣، ١٦٤.

(٣) تفسير الرازي ١٧/ ٢٥١.

(٤) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي/ للشهاب الخفاجي ٥/ ٢٧.

الفعل الإنجازي المتضمن في القول:

جاء التعجب في هذه الآية كفعل إنجازي غير مباشر للاستفهام؛ حيث يلمح الاستفهام إلى معانٍ مجازية، منها " التعجب" كما في هذا الموضع؛ وذلك في قول المولى عز وجل: ﴿فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ بقرينة المقام؛ وذلك لعدم استقامة حمل الاستفهام على الاستفهام الحقيقي.

وتأسيسًا على ما تقدم يمكن أن نلمح القوة الإنجازية للفعل الكلامي كما يأتي:

- **المحتوى اللفظي** ← ما (استفهامية مبتدأ)، لكم (خبر)، (كيف) استفهام، (تحكمون) خبر كان.
- **المحتوى القضوي** ← السؤال عن الفائدة من عبادة الأوثان، والسؤال عن كيفية حكمهم بالباطل، والمعنى: فَأَيُّ شي لَكُمْ فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ. ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ:" كَيْفَ تَحْكُمُونَ"؛ أَيْ: لِأَنْفُسِكُمْ وَتَقْضُونَ بِهَذَا الْبَاطِلِ الصُّرَاحِ.
- **القوة الإنجازية والتأثيرية** ← التعجب من حالهم؛ حيث يُعَجِّبُ مِنْ مَذْهَبِهِمُ الْفَاسِدِ وَمَقَالَتِهِمُ الْبَاطِلَةِ أَرْبَابَ الْعُقُولِ؛ أي: أيّ شيء لكم في اتخاذ هؤلاء العاجزين عن هداية أنفسهم فضلا عن هداية غيرهم.

تعليق واستنتاج:

ظهر من خلال العرض السابق أن الاستفهام في هذه الآية يحمل غرضًا إنجازيًا يتمثل في التعجب من حال المشركين؛ أي كيف تحكمون بالباطل الذي يأباه العقل من اتخاذ الشركاء؛ ولذا ذكر فيه عجب بعد عجب. فالاستفهام جاء لغرض تعجُّبي؛ بمعنى: أيّ شيء لكم في اتِّخاذ هؤلاء العاجزين عن هداية أنفسهم فضلاً عن هداية غيرهم.

****

٣) (التَّهكُّم)

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (١)

المعنى العام للآية:

حول هذا المعنى يقول الزمخشري:" كان أهل الطائف يعبدون اللات، وأهل مكة العزى ومناة وهبل وأسافا ونائلة وَكانوا يَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ، وعن النضر بن الحرث: إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى. أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِما لا يَعْلَمُ: أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده، وهو إنباء بما ليس بالمعلوم لله، وإذا لم يكن معلومًا له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات، لم يكن شيئًا؛ لأن الشيء ما يعلم ويخبر عنه، فكان خبرًا ليس له مخبر عنه"(٢)؛ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين أتخبرون الله تعالى بشريكٍ أو شفيعٍ كائنٍ في السماوات أو الأرض لا يعلمه جلَّ وعلا، وهو علاّم الغيوب الذي أحاط علمه بجميع الكائنات؟ (٣).

الشرح والتحليل:

ينكر المولى عز وجل في الآية السابقة على المشركين بأسلوب الاستفهام التَّهكُّمي إخبارهم إياه ﷻ بشريك أو شفيع كائن في السماوات أو في الأرض لا يعلمه سبحانه وتعالى؛ حيث يقول: "تخبرون اللَّهَ أَنَّ لَهُ شُرَكَاءَ فِي مُلَكِهِ يُعْبَدُونَ كَمَا يُعْبَدُ، أَوْ أَتُخْبِرُونَهُ أَنَّ لَكُمْ شُفَعَاءَ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَعْلَمُ لِنَفْسِهِ شَرِيكًا وَلَا شَفِيعًا بِغَيْرِ إِذْنِهِ مِنْ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ الَّذِينَ هُمْ فِي سَمَاوَاتِهِ وَفِي أَرْضِهِ؟ وَهَذَا الْكَلَامُ حَاصِلُهُ: عَدَمُ وُجُودِ مَنْ هُوَ كَذَلِكَ أَصْلًا، وَفِي هَذَا مِنَ التَّهَكُّمِ بِالْكُفَّارِ مَا لَا يَخْفَى، ثُمَّ نَزَّهَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ عَنْ إِشْرَاكِهِمْ، وَهُوَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ابْتِدَاءَ

(١) يونس: من الآية (١٨).

(٢) الكشاف ٢/ ٣٣٦.

(٣) صفوة التفاسير ص ٥٣٧.

كَلَامٍ غَيْرِ دَاخِلٍ فِي الْكَلَامِ الَّذِي أَمَرَ الله سبحانه رسوله بأن يُجِيبَ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تَمَامِ مَا أُمِرَ النَّبِيُّ (ﷺ) أَنْ يَقُولَهُ لَهُمْ جَوَابًا عَلَيْهِمْ"[١]. "فإن قلتَ: كيف أنبأوا الله بذلك؟ قلت: هو تهكم بهم وبما ادَّعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام، وإعلام بأنّ الذي أنبأوا به باطل غير منطوٍ تحت الصحة، فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجلُ الرجلَ بما لا يعلمه"[٢]. وفي هذا " دحضٌ لكلام المشركين وافترائهم بإخبارهم عن وجود شريكٍ أو شفيعٍ كائنٍ في السماوات أو الأرض لا يعلمه الله على سبيل التهكم والسخرية منهم.

الفعل الإنجازي المتضمن في القول:

ورد التهكُّم في هذه الآية كفعل إنجازي غير مباشر للاستفهام بوصفه فعلاً يحمل أبعادًا تلميحية؛ منها " التهكم" بكفار قريش وبما ادَّعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام، وإعلام بأنّ الذي أنبأوا به باطل غير منطوٍ تحت الصحة؛ وذلك بقرينة المقام؛ نظرًا لعدم استقامة حمل الاستفهام على الاستفهام الحقيقي.

وتأسيسًا على ما تقدم يمكن أن نلمح القوة الإنجازية للفعل الكلامي كما يأتي:

- **المحتوى اللفظي** ← تُنَبِّئ (فعل مضارع)، الهمز (للاستفهام)، (واو الجماعة) فاعل، الله (لفظ الجلالة مفعول به).
- **المحتوى القضوي** ← السؤال عن كلام المشركين وافترائهم بإخبارهم عن وجود شريكٍ أو شفيعٍ كائنٍ في السماوات أو الأرض لا يعلمه الله.
- **القوة الإنجازية والتأثيرية** ← التهكم بهم وبما ادَّعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام، وإعلام بأنّ الذي أنبأوا به باطل غير منطوٍ تحت الصحة،

(١) فتح القدير/ للشوكاني ٢/ ٤٩١.
(٢) الكشاف ٢/ ٣٣٦.

فكأنهم يخبرونه بشيءٍ لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجلُ الرجلَ بما لا يعلمه.

تعليق واستنتاج:

بدا مما سبق أن الاستفهام في هذه الآية ليس على حقيقته وإنما جاء للتهكُّم من المشركين، ومما ادَّعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام، فالاستفهام للتهكم والهزء بهم، وفيه دحضٌ لكلام المشركين وافترائهم بإخبارهم عن وجود شريكٍ أو شفيعٍ كائنٍ في السماوات أو في الأرض لا يعلمه الله على سبيل التهكم والسخرية منهم.

****

٤) (النَّفي)

قال تعالى: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ (١)

المعنى العام للآية:

"فَذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ؛ أي: المتولي لهذه الأمور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته؛ لأنه الذي أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر أموركم. فَماذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ؟ استفهام إنكار أي ليس بَعْدَ الحق إلاَّ الضلال، فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله تعالى وقع في الضلال. فَأَنَّى تُصْرَفُونَ عن الحق إلى الضلال"(٢).

الشرح والتحليل:

إنَّ المتأمل للاستفهام الوارد في الآية الكريمة السابقة يلحظ أنه يحمل غرضًا إنجازيًا يغاير المعنى الحقيقي للاستفهام، وهو النفي؛ حيث يقول أبو حيان: " وَمَاذَا اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ النَّفْيِ، وَلِذَلِكَ دَخَلَتْ " إِلَّا "، وَصَحِبَهُ التَّقْرِيرُ

(١) يونس: من الآية (٣٢).

(٢) تفسير البيضاوي ٣/ ١١٢

وَالتَّوْبِيخُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: مَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ، فَالْحَقُّ وَالضَّلَالُ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُمَا؛ إِذْ هما نقيضان، فمن يخطئ الْحَقَّ وَقَعَ فِي الضَّلَالِ"(١)، وهذا ما أكده الطاهر بن عاشور بقوله:" وَالِاسْتِفْهَامُ هُنَا إِنْكَارِيٌّ فِي مَعْنَى النَّفْيِ، وَلِذَلِكَ وَقَعَ بَعْدَهُ الِاسْتِثْنَاءُ فِي قَوْلِهِ: إِلَّا الضَّلالُ.

وبَعْدَ هُنَا مُسْتَعْمَلَةٌ فِي مَعْنَى (غَيْرِ) بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْمُغَايِرَ يَحْصُلُ إِثْرَ مُغَايَرَةٍ وَعِنْدَ انْتِفَائِهِ. فَالْمَعْنَى: مَا الَّذِي يَكُونُ إِثْرَ انْتِفَاءِ الْحَقِّ.

وَلَمَّا كَانَ الِاسْتِفْهَامُ لَيْسَ عَلَى حَقِيقَتِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا تَرَدُّدَ فِي الْمُسْتَفْهَمِ عَنْهُ تَعَيَّنَ أَنَّهُ إِنْكَارٌ وَإِبْطَالٌ فَلِذَا وَقَعَ الِاسْتِثْنَاءُ مِنْهُ بِقَوْلِهِ: إِلَّا الضَّلالُ. فَالْمَعْنَى لَا يَكُونُ إِثْرَ انْتِفَاءِ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ؛ إِذْ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُمَا. فَلَمَّا كَانَ اللَّهُ هُوَ الرَّبُّ الْحَقُّ تَعَيَّنَ أَنَّ غَيْرَهُ مِمَّا نُسِبَتْ إِلَيْهِ الْإِلَهِيَّةُ بَاطِلٌ. وَعَبَّرَ عَنِ الْبَاطِلِ بِالضَّلَالِ لِأَنَّ الضَّلَالَ أَشْنَعُ أَنْوَاعِ الْبَاطِلِ"(٢).

هذا في حين ذكر بعض العلماء أن الفعل الإنجازي المتضمن في القول: للاستفهام في هذه الآية هو:" التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ والتقرير والإنكار"، ومن ذلك ما ذكره الشوكاني بقوله:" وَالِاسْتِفْهَامُ فِي قَوْلِهِ: فَماذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ؟ لِلتَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ إِنْ كَانَتْ مَا اسْتِفْهَامِيَّةً، لَا إِنْ كَانَتْ نَافِيَةً كَمَا يَحْتَمِلُهُ الْكَلَامُ، وَالْمَعْنَى: أَيُّ شَيْءٍ بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ؟ فَإِنَّ ثُبُوتَ رُبُوبِيَّةِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ حَقٌّ بِإِقْرَارِهِمْ فَكَانَ غَيْرُهُ بَاطِلًا، لِأَنَّ وَاجِبَ الْوُجُودِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ"(٣). وهذا ما أكده صاحب كتاب فتح البيان (٤). أمَّا صاحب كتاب السراج المنير فقد ذكر أن المعنى المجازي الذي خرج له الاستفهام في هذه الآية هو التقرير؛ وذلك

(١) البحر المحيط في التفسير/ لأبي حيان الأندلسي ٦/ ٥٣.
(٢) التحرير والتنوير ١١/ ١٥٨.
(٣) فتح القدير ٢/ ٥٠٤.
(٤) فتحُ البيان في مقاصد القرآن/ للقِنَّوجي ٦/ ٥٧.

في قوله: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ ؛ إذ لا واسطة بينهما فهو استفهام تقرير؛ أي: ليس بعده غيره فمن أخطأ الحق وهو عبادة الله تعالى وقع في الضلال" (١).

أرى من خلال ـ ما سبق ـ أن الرأي الأول هو الأقرب للصواب والأولى بالقبول في تحديد الفعل الإنجازي للاستفهام في هذه الآية، وهو " النَّفي" والدليل على ذلك أن الِاسْتِثْنَاءَ وَقَعَ بَعْدَهُ فِي قَوْلِهِ: إِلَّا الضَّلالُ؛ حيث يقول الصابوني:" ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ استفهام انكاري أي ليس بعد الحق إلا الضلال"(٢). هذا ويجوز أن تكون معاني التقريع والتوبيخ والتقرير والإنكار، التي ذكرها العلماء معاني مجازية تابعة للمعنى المجازي الأساس وهو " النفي" لكن ليست بديلاً عنه.

الفعل الإنجازي المتضمن في القول:

جاء النفي في هذه الآية الكريمة كفعل إنجازي غير مباشر للاستفهام بوصفه فعلاً يحمل أبعادًا تلميحية؛ حيث أفاد الاستفهام فعلًا إنجازيًّا يتمثَّل في "النفي" الذي ورد في قول المولى عز وجل:﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ والدليل على ذلك أن الِاسْتِثْنَاءَ وَقَعَ بَعْدَهُ فِي قَوْلِهِ: إِلَّا الضَّلالُ.وذلك بقرينة المقام؛ نظرًا لعدم استقامة حمل الاستفهام على الاستفهام الحقيقي.

وتأسيسًا على ما تقدم يمكن أن نلمح القوة الإنجازية للفعل الكلامي كما يأتي:

- **المحتوى اللفظي** ← ما (استفهامية)، ذا (اسم إشارة بمعنى الذي) إلا (أداة استثناء بمعنى غير)؛ أي ليس بَعْدَ الحق إلاَّ الضلال.

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير/ الخطيب الشربيني ٢/ ١٨.

(٢) صفوة التفاسير ١/ ٥٤٢.

- **المحتوى القضوي** ← سؤال المولى عز وجل للمشركين بقوله: أَيُّ شَيْءٍ بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ؟ فَالْمَعْنَى: مَا الَّذِي يَكُونُ إِثْرَ انْتِفَاءِ الْحَقِّ.
- **القوة الإنجازية والتأثيرية** ← تمثَّل ذلك في:" النفي" فالِاسْتِفْهَامُ هُنَا إِنْكَارِيٌّ فِي مَعْنَى النَّفْيِ، وَلِذَلِكَ وَقَعَ بَعْدَهُ الِاسْتِثْنَاءُ فِي قَوْلِهِ: إِلَّا الضَّلالُ.كَأَنَّهُ قِيلَ: مَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ، فَالْحَقُّ وَالضَّلَالُ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُمَا، إِذْ هما نقيضان.

تعليق واستنتاج:

ظهر من العرض السابق أن الاستفهام في هذه الآية يحمل غرضًا إنجازيًا يتمثل في " النفي"، فَالْمَعْنَى لَا يَكُونُ إِثْرَ انْتِفَاءِ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ؛ إِذْ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُمَا، ومع ذلك لا ينفي ذلك وجود أغراض إنجازية أخرى مكملة لهذا الغرض ومنها: التقريع والتوبيخ والتقرير والإنكار، فقد ذكرها العلماء؛ لذا يحتمل أن تكون معاني مجازية تابعة للمعنى المجازي الأساس وهو " النفي" لكن ليست بديلاً عنه.

****

٥) (الاستبعاد)

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (١)

المعنى العام للآية:

المعنى: "ويقول كفار مكة متى هذا العذاب الذي تعدنا به إن كنت صادقًا؟ وهذا القول منهم على سبيل السخرية والاستهزاء"(٢)؛ أي: "يُرِيدُ كُفَّارَ مَكَّةَ لِفَرْطِ

(١) يونس: من الآية (٤٨).

(٢) صفوة التفاسير ص ٥٤٦.

إِنْكَارِهِمْ وَاسْتِعْجَالِهِمُ الْعَذَابَ؛ أَيْ مَتَى الْعِقَابُ أَوْ مَتَى الْقِيَامَةُ الَّتِي يَعِدُنَا مُحَمَّدٌ. وَقِيلَ: هُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ أمة كذبت رسولها " (١).

الشرح والتحليل:

يستبعد كُفَّارُ مَكَّةَ . لِفَرْطِ إِنْكَارِهِمْ وَاسْتِعْجَالِهِمُ . الْعَذَابَ؛ وذلك في الاستفهام الوارد في الآية الكريمة؛ حيث يقول الزمخشري:" مَتى هذَا الْوَعْدُ استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادًا له"(٢). ويقول البيضاوي:" وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ استبعادًا له واستهزاءً به" (٣).

هذا في حين يرى بعض العلماء: أنَّ الفعل الإنجازي المتضمن في الاستفهام: في هذه الآية يكمن في الاستبطاء؛ حيث يقول الطاهر بن عاشور:" وَالْمُنَاسَبَةُ أَنَّهُ لَمَّا بَيَّنَتِ الْآيَةُ السَّالِفَةُ أَنَّ تَعْجِيلَ الْوَعِيدِ فِي الدُّنْيَا لَهُمْ وَتَأْخِيرَهُ سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى؛ إِذِ الْوَعِيدُ الْأَتَمُّ هُوَ وَعِيدُ الْآخِرَةِ، أُتْبِعَتْ بِهَذِهِ الْآيَةِ حِكَايَةً لِتَهَكُّمِهِمْ عَلَى تَأْخِيرِ الْوَعِيدِ... فَالسُّؤَالُ عَنْهُ باسم الزَّمَان مؤول بِتَقْدِيرٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْمَقَامُ؛ أَيْ مَتَى ظُهُورُهُ. وَالسُّؤَالُ مُسْتَعْمَلٌ فِي الِاسْتِبْطَاءِ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ اكْتِرَاثِهِمْ بِهِ وَأَنَّهُمْ لَا يَأْبَهُونَ بِهِ لِيَنْتَقِلَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُمْ مُكَذِّبُونَ بِحُصُولِهِ بِطَرِيقِ الْإِيمَاءِ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِمْ: إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ؛ أَيْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي أَنَّهُ وَاقِعٌ فَعَيِّنُوا لَنَا وَقْتَهُ، وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنَّنَا لَا نُصَدِّقُكَ حَتَّى نَرَى مَا وَعَدْتَنَا كِنَايَةً عَنِ اعْتِقَادِهِمْ عَدَمَ حُلُولِهِ وَأَنَّهُمْ لَا يُصَدِّقُونَ بِهِ"(٤).

هذا وقد نقض بعض العلماء ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور، فقد ثبت أن المعنى المجازي والفعل الإنجازي المتضمن في القول: للاستفهام في هذه

(١) تفسير القرطبي ٨/ ٣٤٩.
(٢) الكشاف ٢/ ٣٥٠.
(٣) تفسير البيضاوي ٣/ ١١٥.
(٤) التحرير والتنوير ١١/ ١٨٩.

الآية هو "الاستبعاد"، وليس الاستبطاء؛ حيث يقول الألوسي:" ثم إنَّ هذا القول من المكذبين استعجال لما وعدوا به، وغرضهم منه على ما قيل استبعاد الموعود وأنه مما لا يكون، وقد يراد بالاستفهام الاستبعاد ابتداءً؛ إذ المقام يقتضيه ولا مانع عنه، والقول بأنَّ ذلك إنما يكون ابتداءً بـ "أين وأنى" ونحوهما دون "متى" غير مسلم، كيف وهو معنى مجازي والمجاز لا حَجْر فيه! "[1].

الفعل الإنجازي المتضمن في القول:

إنَّ مجرد التكذيب كفعل إنجازي لأسلوب الاستفهام في هذه الآية الكريمة ليس له كبير قيمة؛ لأن التكذيب وإن فهم من السياق ليس مقصودًا لذاته؛ إذ هم يعتقدون هذا القول، فوجب أن يقترن بالتكذيب معاني أخر هي:" الاستبعاد" الذي ورد في قول المولى عز وجل:﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ ، على حد قول بعضهم:" استبعادًا له واستهزاءً به".

وتأسيسًا على ما تقدم يمكن أن نلمح القوة الإنجازية للفعل الكلامي كما يأتي:

- **المحتوى اللفظي** ← متى (استفهامية بمعنى أنَّى مبتدأ)، هذا (اسم إشارة خبر، والهاء للتنبيه) الوعدُ (بدل او عطف بيان من اسم الإشارة).
- **المحتوى القضوي** ← سؤال المشركين عما وُعِدوا به من العذاب.
- **القوة الإنجازية والتأثيرية** ← " الاستبعاد" فالِاسْتِفْهَامُ . هُنَا . من المشركين هو استبعادٌ للموعود، وأنه مما لا يكون.وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ اكْتِرَاثِهِمْ بِهِ وَأَنَّهُمْ لَا يَأْبَهُونَ بِهِ، فقد جاء ذلك منهم بِطَرِيقِ الْإِيمَاءِ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِمْ: إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ أَيْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي أَنَّهُ وَاقِعٌ فَعَيِّنُوا لَنَا وَقْتَهُ.

---

(١) روح المعاني ٦/ ١٢٣، ١٢٤.

تعليق واستنتاج:

اتضح مما سبق أن الفعل الإنجازي المتضمن في القول: للاستفهام في هذه الآية لم يكن محل اتفاق بين العلماء؛ حيث ذهب بعضهم إلى أنه" الاستبطاء"، في حين ذهب بعضهم إلى أنه " الاستبعاد"، وقد ثبت أن ما ذهب إليه الألوسي هو الراجح بدليل قوله . في ردّه على من ذهب إلى أن الفعل الإنجازي المتضمن في القول: في هذا الاستفهام هو "الاستبطاء" ـ:"إذ المقام يقتضيه ولا مانع عنه، والقول بأنَّ ذلك إنما يكون ابتداءً بـ "أين وأنى" ونحوهما دون "متى" غير مسلم، كيف وهو معنى مجازي والمجاز لا حجر فيه !.

****

٦) (التَّوبيخ)

قال تعالى: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١)

المعنى العام للآية:

"المعنى: وليس عندكم أيها المشركون أي سلطانٍ أو دليلٍ على ادّعائكم وجود ولد لله، وما تقولونه محض الكذب والافتراء والبهتان، أتقولون على الله قولاً لا حقيقة له، وتنسبون إليه تعالى ما لا يصح عقلاً وواقعًا نسبة الولد إليه؟! وقوله تعالى: أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ استفهامٌ يراد به التوبيخ والتقريع، والتّهديد الشّديد"(٢).

الشرح والتحليل:

يوبّخ المولى سبحانه وتعالى المشركين في هذه الآية الكريمة منكرًا عليهم ـ عن طريق الاستفهام . ادّعاؤهم وجود ولد لله، فقولهم محض كذبٍ وافتراءٍ وبهتان،

(١) يونس: من الآية (٦٨).

(٢) التفسير الوسيط / للزحيلي ٢/ ٩٩١.

وقد نصَّ البيضاوي على ذلك بقوله:" ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَالَا تَعْلَمُونَ ﴾ توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم. وفيه دليل على أن كل قول لا دليل عليه فهو جهالة، وأن العقائد لا بد لها من قاطع وأن التقليد فيها غير سائغ"(١). وهذا ما أكده كثير من العلماء والمفسرين (٢). ويقول النسفي: ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَالَا تَعْلَمُونَ ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ"(٣)، وهذا ما أكده صاحب تفسير الجلالين أيضًا(٤).

هذا وقد صرَّح أبو السعود بالعلة في خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى هذا المعنى المجازي (التوبيخ) بقوله:" ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَالَا تَعْلَمُونَ ﴾ من تمام القولِ المأمورِ به والهمزةُ لإنكارِ الواقعِ واستقباحِه وتوجيهُ الإنكارِ والتوبيخِ إلى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون صدورَه عنه تعالى ــ مع أن بعضَهم يعلمون عدمَ صدورِه عنه تعالى ــ مبالغةٌ في إنكار تلك الصورةِ فإن إسنادَ ما لم يعلم صدوره عنه تعالى إليه تعالى إذا كان مُنكرًا فإسنادُ ما عُلم عدمُ صدورِه عنه إليه ﷻ أشدُّ قبحًا وأحقُّ بالإنكار"(٥)؛ ولذلك " وَبَّخَهُمْ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الْعَاطِلِ عَنِ الدَّلِيلِ الْبَاطِلِ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ، فَقَالَ: أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا أَنَّ كُلَّ قَوْلٍ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ لَيْسَ هُوَ مِنَ الْعِلْمِ فِي شَيْءٍ، بَلْ مِنَ الْجَهْلِ الْمَحْضِ"(٦).

(١) تفسير البيضاوي ٢/ ١١٩.
(٢) ينظر: روح البيان/ لإسماعيل حقي ٤/ ٦٤، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ لابن عجيبة ٢/ ٤٨٧، والتفسير المظهري ٥/ ٤٥.
(٣) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ١/ ٥٦٣.
(٤) ينظر: تفسير الجلالين ص ٢٧٧.
(٥) تفسير أبي السعود ٣/ ٢٢٣.
(٦) فتح القدير/ للشوكاني ٢/ ٥٢٤.

وعلى ذلك فـ" الاستفهام للإنكار والتوبيخ؛ أي: أتكذبون على الله وتنسبون إليه القبيح دون علمٍ ونظرٍ صحيح؟"(١)، " والمراد: هل عندكم من حجةٍ وبرهان على أنّ لله تعالى ولدًا. فلو كان لهم دليل لأظهروه. فلمّا تحدّاهم وعجّزهم عن إقامة الدليل عُلِم بطلان ما قالوه، وأنّه قول بلا علم؛ ولهذا وبّخهم الله ﷻ بقوله بعد ذلك: ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ فالاستفهام ـ هنا ــ مستعمل في التوبيخ والتقريع؛ لأنّ المذكور بعده شيء ذميم واجتراء عظيم وجهل مركّب كبير !!!" (٢).

الفعل الإنجازي المتضمن في القول:

ورد التوبيخ في هذه الآية كفعل إنجازي للاستفهام بوصفه فعلاً يحمل أبعادًا تلميحية؛ حيث أفاد الاستفهام فعلًا إنجازيًّا يتمثَّل في " التوبيخ والتقريع" في قول المولى ﷻ : ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ بقرينة المقام، وذلك لعدم استقامة حمل الاستفهام على الاستفهام الحقيقي؛ لأنّ المذكور بعده شيء ذميم واجتراء عظيم وجهل مركّب كبير !!!"

وتأسيسًا على ما تقدم يمكن أن نلمح القوة الإنجازية للفعل الكلامي كما يأتي:

- **المحتوى اللفظي** ← الهمزة (استفهامية)، تقول (فعل مضارع)، واو الجماعة (فاعل)، معمول الفعل، وهو: الجار (على) والمجرور (لفظ الجلالة).
- **المحتوى القضوي** ← سؤال المولى ﷻ للمشركين عن قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون صدورَه عنه تعالى.
- **القوة الإنجازية والتأثيرية** ← التوبيخ لهم عن قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون؛ أي أتكذبون على الله وتنسبون إليه القبيح دون علمٍ ونظرٍ صحيح؟.

(١) صفوة التفاسير ص ٤٠٩.

(٢) تسبيح الله ذاته العلية في آيات كتابه السنية/ عماد بن زهير حافظ ص ٨٠.

تعليق واستنتاج:

ظهر من خلال العرض السابق أن الاستفهام في هذه الآية يحمل غرضًا إنجازيًا يتمثَّل في التوبيخ والتقريع للمشركين، وأنَّ ما يقولونه محض كذب وافتراء؛ أي: أتكذبون على الله وتنسبون إليه القبيح دون علمٍ ونظرٍ صحيح؟ فالاستفهام _ هنا_ مستعمل في التوبيخ والتقريع، وليس في معناه الحقيقي بقرينة المقام.

****

٧) (الاستهـــزاء)

قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ ﴾ (١)

المعنى العام للآية:

المعنى:" إنَّ هؤلاء الضالين يطلبون منك_ أيها الرسول الكريم _ على سبيل التهكم والاستهزاء، أن تخبرهم عن هذا العذاب الذي توعدتهم به، أهو واقع بهم على سبيل الحقيقة، أم هو غير واقع ولكنك تُحدِّثهم عنه على سبيل الإرهاب والتهديد؟ (٢).

الشرح والتحليل:

بدا مما سبق أنَّ الاستفهام في الآية السابقة قد خرج من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي، وهو الاستهزاء؛ حيث يقول النيسابوري:﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ ﴾ وهو استخبار على جهة الاستهزاء والإنكار؛ أي: أحقٌّ ما تعدنا به من نزول العذاب في العاجل؟ وهذا السؤال جهلٌ محض؛ لأنه تقدم ذكره مع الجواب مرة واحدة فلا وجه للإعادة؛ ولأنه قد تبيَّن بالبراهين القاطعة صحة نبوة محمد (ﷺ) فيلزم القطع بصحة كل ما يخبر عن وقوعه"(٣).

(١) يونس: من الآية (٥٣).

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ محمد سيد طنطاوي ٧/ ٨٤.

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣/ ٣٨٥.

ويقول الشوكاني: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ﴾ هُوَ أي: يستخبرونك على جِهَةِ الِاسْتِهْزَاءِ مِنْهُمْ وَالْإِنْكَارِ: (أَحَقٌّ هو) مَا تَعِدُنَا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ، وَهَذَا السُّؤَالُ مِنْهُمْ جَهْلٌ مَحْضٌ. وَظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، فَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ عَنْهُمْ مَعَ الْجَوَابِ عَلَيْهِ، فَصَنِيعُهُمْ فِي هَذَا التَّكْرِيرِ صَنِيعُ مَنْ لَا يَعْقِلُ مَا يَقُولُ وَلَا مَا يُقَالُ لَهُ"(١).

وهذ المعنى الذي ذكره النيسابوري هو ما أكده كثير من العلماء، يقول الزمخشري:" وَيَسْتَنْبِئُونَكَ ويستخبرونك، فيقولون: أَحَقٌّ هُوَ وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء" (٢).

الفعل الإنجازي المتضمن في القول:

جاء الاستهزاء في هذه الآية كفعلٍ إنجازيّ للاستفهام بوصفه فعلاً يحمل أبعادًا تلميحية؛ حيث أفاد الاستفهام فعلًا إنجازيًّا تمثَّل في" الاستهزاء" في قول المولى ﷻ: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ﴾ بقرينة المقام، وذلك لعدم استقامة حمل الاستفهام على الاستفهام الحقيقي.

وتأسيسًا على ما تقدم يمكن أن نلمح القوة الإنجازية للفعل الكلامي كما يأتي:

- **المحتوى اللفظي** ← استنبأ، الواو (فاعل)، الكاف (مفعول به) وقوع العذاب.
- **المحتوى القضوي** ← سؤال المشركين عن حقيقة وقوع العذاب بهم.
- **القوة الإنجازية والتأثيرية** ← الانكار والاستهزاء والتَّبَالُه.

فَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ عَنْهُمْ مَعَ الْجَوَابِ عَلَيْهِ، فَصَنِيعُهُمْ فِي هَذَا التَّكْرِيرِ صَنِيعُ مَنْ لَا يَعْقِلُ مَا يَقُولُ وَلَا مَا يُقَالُ لَهُ، فكأنَّ استفهامهم هذا عن شيء سبق توضيحه يعد استهزاءً وتبالهًا منهم وليس استفهامًا حقيقيًا.

(١) فتح القدير ٢/ ٥١٤.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٥٢، وينظر: تفسير النسفي ٢/ ٢٧، والبحر المحيط ٦/ ٧١، وتفسير أبي السعود ٤/ ١٥٤، والتحرير والتنوير ١١/ ١٩٦

تعليق واستنتاج:

ظهر من خلال العرض السابق أن الاستفهام في هذه الآية يحمل غرضًا إنجازيًا يتمثل في الاستهزاء والتَّبَاله من المشركين، وأن ما يقولونه محض الكذب والافتراء والاستهزاء بما هو ثابت ومؤكد سلفًا.

****

ثانيًا: الأثر التداولي لأفعال الكلام في أسلوب الأمر

توطئة:

الأمـر: هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء. ويكون ممن هو أعلى إلى من هو أقل منه. وللأمر أربع صيغ وهي: فعل الأمر، المضارع المقترن بلام الأمر، اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر.

وللأمر أربع صيغ وهي: فعل الأمر، المضارع المقترن بلام الأمر، اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر.

- فعل الأمر: كقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (١).
- المضارع المقترن بلام الأمر: مثل فليعلم الصابر أن مثواه الجنة.
- اسم فعل الأمر: عليكم بالصلاة فإنها تنهي عن الفحشاء والمنكر.
- المصدر النائب عن فعل الأمر: كقوله تعالى ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ (٢).

وقد تستعمل صيغ الأمر في غير هذا الأصل الذي وُضعت له، فتفيد الاستهزاء أو التهديد والوعيد، أو التهكم أو التعجيز والتحدي أو التسلية أو التعريض أو الدعاء أو التهديد أو التمني... إلى غير ذلك من المعاني التي

(١) الإخلاص: الآية (١).

(٢) مريم: الآية (٣٢)، وينظر: علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) / محي الدين ديب ورفيقه، ص ٢٨٢، وفي البلاغة العربية علم المعاني ٨٤.

تفيدها هذه الصيغ بمعونة السياق وقرائن الأحوال، هذه هي ما تعرف في علم البلاغة بـ "المعاني المجازية"، وهي ما يطلق عليها في التداولية الحديثة اسم الأغراض الإنجازية، التي تتعلق بالأفعال الكلامية، والتي سنقف عليها فيما يأتي:

١) (الاستهـزاء)

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ ﴾[١]

المعنى العام للآية:

"قال الكلبي[٢]: نزلت في المستهزئين، قالوا: يا محمد ائْتِ بِقُرْآنٍ غيره ليس فيه ما يغيظنا، أَوْ بَدِّلْهُ، فاجعل مكان آية عذابٍ آية رحمة أو آية رحمةٍ آية عذاب أو حرام حلالاً أو حلال حراما. قُلْ لهم يا محمد ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي: من قِبَل نفسي ومن عندي، إِنْ أَتَّبِعُ ما أطيع فيما آمركم وأنهاكم إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْراكُمْ أعلمكم بِهِ"[٣].

الشرح والتحليل:

أراد الكفار الاستهزاء بالنبي (ﷺ) وبالقرآن الكريم؛ وذلك فيما حكاه المولى ﷻ على لسانهم، فقد " ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء وهو قولهم لو جئتنا بقرآن غير هذا القرآن أو بدلته لآمنا بك وغرضهم السخرية

(١) يونس: من الآية (١٥).

(٢) **الكلبي:** هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي، أبو ثور: الفقيه صاحب الإمام الشافعيّ. قال ابن حبان: كان أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وورعا وفضلا، صنف الكتب وفرّع على السنن، وذبَّ عنها، يتكلم في الرأي فيخطئ ويصيب. مات ببغداد شيخا سنة (٢٤٠هـ). ينظر: تذكرة الحفاظ/ للذهبي ٢/ ٧٤، وتاريخ بغداد/ للبغدادي ٦/ ٦٣، والأعلام/ للزركلي ١/ ٣٧.

(٣) تفسير الثعلبي ٥/ ٢٣.

والاستهزاء"[١]. ولذلك "فَقَدْ أَمر الله نبيَّه (ﷺ) بِأَنْ يُجِيبَهُمْ بِمَا يُقْلِعُ شُبْهَتَهُمْ مِنْ نُفُوسِهِمْ إِنْ كَانُوا جَادِّينَ، أَوْ مِنْ نُفُوسِ مَنْ يَسْمَعُونَهُمْ مِنْ دَهْمَائِهِمْ فَيَحْسَبُوا كَلَامَهُمْ جِدًّا فَيَتَرَقَّبُوا تَبْدِيلَ الْقُرْآنِ"[٢].

فقد ظهر أنَّ فعل الأمر (ائتِ) لم يرد على حقيقته؛ وفقًا للسياق، وإنما جاء لمعنى آخر، وهو الاستهزاء من قبل المشركين، "وهم خمسة نفر: عبد الله بن أمية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص، وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامري، والعاص بن عامر بن هاشم. قالوا للنبي (ﷺ): ائْتِ بِقُرْآنٍ ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وهبل وليس فيه عنهما أي بَدِّلْهُ تكلم به من تلقاء نفسك"[٣].

الفعل الإنجازي المتضمن في القول:

جاء الاستهزاء في هذه الآية كفعلٍ إنجازيٍّ للاستفهام بوصفه فعلاً يحمل أبعادًا تلميحية؛ منها: "الاستهزاء" في قول المشركين الذي حكاه المولى ﷻ على لسانهم في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ ﴾ بقرينة المقام، وذلك لعدم استقامة حمل الأمر على فعل الأمر الحقيقي.

وتأسيسًا على ما تقدم يمكن أن نلمح القوة الإنجازية للفعل الكلامي كما يأتي: – **المحتوى اللفظي** ← فعلي الأمر ﴿ ٱئۡتِ ﴾ ، و﴿ بَدِّلۡهُۚ ﴾ ، و﴿ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾.

– **المحتوى القضوي** ← طلب الإتيان بغير القرآن، أو تبديله وتغيير مواضعه.

– **القوة الإنجازية والتأثيرية** ← الاستهزاء بالقرآن وبالرسول (ﷺ) والسخرية منه.

(١) تفسير الرازي ١٧/ ٢٢٣، وينظر: تفسير الخازن ٢/ ٤٣٢.

(٢) التحرير والتنوير ١١/ ١١٥، ١١٦.

(٣) تفسير الثعلبي ٥/ ٢٣.

تعليق واستنتاج:

ظهر من خلال العرض السابق أن الأمر في هذه الآية يحمل غرضًا إنجازيًا يتمثل في الاستهزاء والسخرية من قبل المشركين بالقرآن والرسول (ﷺ)، وأن ما يقولونه محض كذب وافتراء واستهزاء بما هو ثابت ومؤكد سلفًا.

وأرى أنَّ الفعل الإنجازي المتضمن في القول: لفعل الأمر ﴿ٱئۡتِ﴾ في هذه الآية الكريمة هو (الاستهزاء والسخرية)، وليس (التَّحدي والتَّعجيز)، الذي ذهب إليه بعض الباحثين[1]؛ اعتمادًا على بعض النصوص والأدلة ــ التي تثبت عكس مراده ــ حيث يقول:" وهكذا يظهر تعنت الكافرين مع رسول الله (ﷺ) ومحاولة تعجيزه والاستهزاء به "وهو طلب عجيب لا يصدر عن جَدٍّ، إنما يصدر عن عبث وهزل وعن جهل كذلك بوظيفة هذا القرآن وجِدِّيَّة تنزيله... وأغلب الظن أن أولئك الذين لا يتوقعون لقاء الله كانوا يحسبون المسألة مسألة مهارة، ويأخذونها مأخذ المباريات في أسواق العرب في الجاهلية"[2].

فالملاحظ أنَّه أثناء محاولة الاستشهاد بالنص المذكور من كتاب ظلال القرآن حدث خلطٌ بين التَّعجيز والاستهزاء، وأعتقد أنَّهما متغايران، فالتعجيز قائم على التَّحدِّي والنِّدِّيَّة مع الجدِّيَّة، بخلاف الاستهزاء فهو قائم على السخرية والاستهانة بالخصم مع الهزل والعبث. وهذا المعنى الأخير هو ما ذهب إليه نص كتاب ظلال القرآن؛ مما يدل على أنه قد حدث التباس في تسخير هذا النص لإثبات أن التعجيز هو الفعل الإنجازي المتضمن في القول: لفعل الأمر في هذه الآية.

---

(١) هي الباحثة/ الدكتورة أمل عبد الفتاح أحمد في بحثها الموسوم بـ (الأفعال الكلامية في آيات التعجيز في القرآن الكريم ـ دراسة تداولية ص ١٠٠٥ " وما بعدها ").

(٢) في ظلال القرآن ٣/ ١٧٧١، والأفعال الكلامية في آيات التعجيز في القرآن الكريم ص ١٠٠٦.

ومما يثبت أن الغرض هو الاستهزاء ـ أيضًا ـ ما ذكره الإمام فخر الدين الرازي بقوله:" رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: أَنَّ خَمْسَةً مِنَ الْكُفَّارِ كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِالرَّسُولِ (ﷺ) وَبِالْقُرْآنِ: الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ، والأسود بن عبد يغوث، والحرث بْنُ حَنْظَلَةَ، فَقَتَلَ اللَّه كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِطَرِيقٍ آخَرَ؛ وذلك في قوله: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾[1]"، وهذا ما ذكره الثعلبي في روايته عن الكلبي[2]، وما أكده الخازن[3]، وغيرهم[4].

فهذا مما يوكد أن الفعل الإنجازي لأسلوب لأمر في هذه الآية الكريمة هو الاستهزاء والسخرية، وليس التحدي والتعجيز كم توَهَّم بعض الباحثين في ذلك، بدليل أن المولى ﷻ قال: (قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي)، إنما أجابهم في التبديل؛ دلَّ أن السؤال ما كان سؤال تبديل، ولكن كانوا يسألون سؤال استهزاء وتكذيب [5].

******

(١) الحجر: الآية (٩٥)، وتفسير الرازي ١٧/ ٢٢٤.

(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ٢٣.

(٣) تفسير الخازن ٢/ ٤٣٢.

(٤) ينظر: الكشاف ٢/ ٣٤٤، وتفسير القاسمي ٦/ ١١، والتحرير والتنوير ١١/ ١١٥ – ١١٨.

(٥) ينظر: تفسير الماتريدي ٦/ ١٩.

٢) (التَّهديد)

قال تعالى: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ [١]

المعنى العام للآية:

المعنى:" أمر من الله- تعالى- لرسوله (ﷺ) بأن يرد عليهم بما يفحمهم؛ أي: قل لهم في الجواب على هذه المطالب المتعنتة: إن هذه المطالب التي طلبتموها هي من علم الغيب الذي استأثر الله به، فقد يجيبكم إليها- سبحانه- وقد لا يجيبكم، فانتظروا فيما يقضيه الله في أمر تعنتكم في مطالبكم، إني معكم من المنتظرين لقضائه وقدره، ولما يفعله بي وبكم. فالجملة الكريمة تهديد لهم على تعنتهم وجهلهم، وتهوينهم من شأن القرآن الكريم، مع أنه أصدق معجزة للرسول (ﷺ) وأعظمها" [٢].

الشرح والتحليل:

يحمل فعل الأمر" فانتظروا " في الآية الكريمة السابقة معنىً خفيًّا وهو "التَّهديد والوعيد"؛ وذلك وفق ما صرَّح به القرطبي في قوله:" ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ ؛ أَيْ تَرَبَّصُوا، وَهَذَا تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ"[٣]، وهو ما أكده الطاهر بن عاشور بقوله:"... وَهَذَا تَعْرِيضٌ بِالتَّهْدِيدِ لَهُمْ أَنَّ مَا يَأْتِي بِهِ اللَّهُ لَا يَتَرَقَّبُونَ مِنْهُ إِلَّا شَرًّا لَهُمْ"[٤]؛ "أي فانتظروا نزول العذاب إني من المنتظرين لما يحل بكم وهذا غاية الوعيد والتهديد"[٥].

(١) يونس: من الآية (١٠٢).
(٢) التفسير الوسيط ٧/ ٤٦.
(٣) تفسير القرطبي ٨/ ٣٦٨.
(٤) التحرير والتنوير ١١/ ١٣١.
(٥) صفوة التفاسير ص ٤٢٠.

فقد ذكر العلماء أنَّ:" لفظ الأمر في الكلام على عشرة أوجه: ... والثامن: التهديد، نحو: ... ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ [(١)]. فقد خرج فعل الأمر من معناه الحقيقي إلى معنى آخر مجازي لغرض إنجازي هو " التهديد.

الفعل الإنجازي المتضمن في القول:

عند النظر إلى فعل الأمر في هذه الآية الكريمة بوصفه فعلاً يحمل أبعادًا تلميحية؛ نجده يدل على " التهديد" كأحد الأفعال الإنجازية لأسلوب الأمر، في قول المولى ﷻ: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ بقرينة المقام؛ وذلك لعدم استقامة حمل الأمر على فعل الأمر الحقيقي؛ وإنما المقام مقام تهديد ووعيد بدليل أنه شبَّه حالهم في الهلاك بحال الأمم التي سبقتهم في التكذيب، يقول القرطبي:" ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ الْأَيَّامُ هُنَا بِمَعْنَى الْوَقَائِعِ، يُقَالُ: فُلَانٌ عَالِمٌ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ أَيْ بِوَقَائِعِهِمْ. قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي وَقَائِعَ اللَّهِ في قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم"[(٢)]. فهذا مما يستدعي أن يكون الغرض تهديدًا ووعيدًا، وليس أمرًا حقيقيًا بالانتظار.

وتأسيسًا على ما تقدم يمكن أن نلمح القوة الإنجازية للفعل الكلامي كما يأتي:

- **المحتوى اللفظي** ← فعل الأمر (انتظر)، و(واو الجماعة) فاعل.
- **المحتوى القضوي** ← طلب الانتظار والتمهُّل لبعض الوقت.
- **القوة الإنجازية والتأثيرية** ← التهديد لهم بوقوع العذاب كما حدث للأمم السابقة.

(١) إعراب القرآن/ للأصبهاني ص٣٣٣.

(٢) تفسير القرطبي ٨/ ٣٦٨.

تعليق واستنتاج:

ظهر من خلال العرض السابق أن الأمر في هذه الآية الكريمة يحمل غرضًا إنجازيًا يتمثل في التهديد والوعيد للمشركين؛ أي فانتظروا نزول العذاب إني من المنتظرين لما يحل بكم وهذا غاية الوعيد والتهديد.

*****

٣) (التَّحدِّي والتَّعجيز)

قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (١)

المعنى العام للآية:

" أم يقول هؤلاء المشركون: افترى محمد هذا القرآن من نفسه فاختلقه وافتعله؟ قل يا محمد لهم: إن كان كما تقولون إني اختلقته وافتريته، فإنكم مثلي من العَرب، ولساني مثل لسانكم، وكلامي مثل كلامكم، فجيئوا بسورة مثل هذا القرآن... إن كنتم صادقين في أن محمدًا افتراه، فأتوا بسورة مثله من جميع من يعينكم على الإتيان بها. فإن لم تفعلوا ذلك، فلا شك أنكم كَذَبَةٌ في زعمكم أن محمدًا افتراه؛ لأن محمدًا لن يَعْدُوَ أن يكون بشرًا مثلكم، فإذا عجز الجميع من الخلق أن يأتوا بسورةٍ مثله، فالواحد منهم عن أن يأتي بجميعه أعجز "(٢).

الشرح والتحليل:

إنَّ أول ما يلاحظ – هنا – هو تصدُّر الآية الكريمة بـ " أم" التي هي للإضراب الانتقالي من النفي إلى الاستفهام الإنكاري التعجبي، والغرض منه إبطال دعواهم أن يكون هذا القرآن مفترى من دون الله ــ جلَّ وعلا.

(١) يونس: من الآية (٣٨).

(٢) تفسير الطبري ١٥/ ٩١، ٩٢.

و" أم " هذه هي التي تتقدَّر عند النحاة بـ (همزة الإنكار) و (بل)، وعليه يكون تقدير الكلام: بل، أيقولون افتراه بعد ما تبين لهم من الدلائل على صدقه وبراءته من الافتراء؟ وقيل: إنكار لقولهم واستبعاد، فجاء هذا الكلام على كلام العرب، قد علم تبارك وتعالى، وذلك من قولهم، ولكن هذا على كلام العرب ليعرَّفواْ ضلالتهم"(١).

وبالرجوع إلى بعض كتب التفسير ثبت أن " الأمر في قوله تعالى: ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ ﴾ من باب التعجيز وإلقام الحجر كما في قوله تعالى: ﴿ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ (٢)، والفاء للجواب؛ وسببه الارتياب للأمر أو الإتيان بالمأمورية، لما أشير من أنه عبارة عن جزمهم المذكور فإنه سبب للأول مطلقًا وللثاني على تقدير الصدق، كأنه قيل: إن كان الأمر كما زعمتم من كونه كلام البشر فأتواْ بمثله"(٣)؛ ومن ذلك أيضًا ما ذكره ابن كثير بقوله:" ... وَهَذَا هُوَ الْمَقَامُ الثَّالِثُ فِي التَّحَدِّي فَإِنَّهُ تَعَالَى تَحَدَّاهُمْ وَدَعَاهُمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي دَعْوَاهُمْ أَنَّهُ مِنْ عند محمد فليعارضوه بنظير ما جاء به وحده وليستعينوا بمن شاؤوا وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَيْهِ..." (٤).

هذا وقد أكد الثعالبي هذا الفعل الإنجازي المتضمن في القول: للأمر المتمثل في التحدي والتعجيز للمشركين في هذه الآية؛ حيث يقول:" ثم عجَّزهم سبحانه بقوله: قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ ... الآية: والتحدّي في هذه الآية عند الجُمْهُور وقَعَ بجهتَي الإعجاز اللَّتَيْنِ في القرآنِ: إِحْداهما: النَّظْم

(١) الكتاب/ لسيبويه ٣/ ١٧٣، والأفعال الكلامية في آيات التعجيز في القرآن الكريم ص ٩٧٦.

(٢) البقرة: من الآية (٢٥٨)

(٣) إرشاد العقل السليم ١/ ٦٤، وينظر: محاسن التأويل/ للقاسمي ١/ ٢٦٨.

(٤) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٣٤.

والرَّصْف والإيجازُ وَالجَزَالَة، كلُّ ذلك في التعريف. والأُخرَى: المعاني مِنَ الغَيْبِ لِمَا مَضَى، ولما يُسْتَقْبَلُ"(١).

كما يقول الشوكاني:" ... ثُمَّ أَمَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَتَحَدَّاهُمْ حَتَّى يَظْهَرَ عَجْزُهُمْ وَيَتَبَيَّنَ ضَعْفُهُمْ فَقَالَ: قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ أَيْ: إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُونَ مِنْ أَنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَاهُ، فَأْتُوا أَنْتُمْ عَلَى جِهَةِ الِافْتِرَاءِ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ فِي الْبَلَاغَةِ، وَجَوْدَةِ الصِّنَاعَةِ، فَأَنْتُمْ مِثْلُهُ فِي مَعْرِفَةِ لُغَةِ الْعَرَبِ، وَفَصَاحَةِ الْأَلْسُنِ، وَبَلَاغَةِ الْكَلَامِ وَادْعُوا بِمُظَاهِرِيكُمْ وَمُعَاوِنِيكُمْ مَنِ اسْتَطَعْتُمْ دُعَاءَهُ وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَمِنْ آلِهَتِكُمُ الَّتِي تَجْعَلُونَهُمْ شُرَكَاءَ لِلَّهِ. وَقَوْلُهُ: مِنْ دُونِ اللَّهِ مُتَعَلِّقٌ بِادْعُوا؛ أَيِ: ادْعُوَا مَنْ سِوَى اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مُفْتَرًى (٢).

وتحدَّاهم أن يأتوا بسورة من مثله ليظهر كذبهم وأنهم المفترون على الله تعالى ونبيه (ﷺ) والحق؛ ولذا أمر سبحانه محمدًا (ﷺ) أن يدعوهم لأن يأتوا بسورة من مثله؛ أي مما ترون أنه مثله، فأتوا بسورة منه، فهم يدَّعون أنه مفترى افتراه محمد (ﷺ) فليأتوا بسورة من مثله إن كان له مثل.

إنَّ محمدًا بشر مثلهم فإذا كان قد افتراه فأنتم بشر مثله فأتوا بسورة من مثله، ويصح أن نقول إن (مِن) بيانية ويكون المعنى ائتوا بسورة منه، أي من جنسه، ولعل ذلك أظهر. وقد تحدَّاهم الله أن يأتوا بعشر سُوَرٍ مثله مفتريات فعجزوا، ثم نزل فتحدَّاهم أن يأتوا بسورة فعجزوا (٣).

"هذه الآيات القرآنية المتحدية للبشرية، بل للإنس والجن معًا، إنَّما تحدَّتهم، وما زالت تتحدَّاهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن نظمًا وبيانًا، وهذا هو الوجه الذي

(١) تفسير الثعالبي ٣/ ٢٤٧.
(٢) فتح القدير ٢/ ٥٠٧.
(٣) زهرة التفاسير ٧/ ٣٥٧١.

أعجز العرب سابقًا ولا حقًا، وهم إذ عجزوا عن الإتيان بمثله فقد انتفى أن يكون القرآن من كلامهم، أو من كلام محمد؛ لأنه واحدٌ منهم، علاوة على أنه ثبت لنا أحاديث شريفة قالها الرسول (ﷺ) والقرآن ينزل عليه، وبالمقارنة بين الكلامين نجد البون شاسعًا، والفرق بعيدًا بعد الفارق بين الخالق والمخلوق [١].

الفعل الإنجازي المتضمن في القول:

ورد التحدي والتعجيز في هذه الآية كفعل إنجازيٍّ لأسلوب الأمر بوصفه فعلاً يحمل أبعادًا تلميحية تتجسَّد في إظهار عجز من يرى أن وسعه أن يفعل أمرًا وليس بمقدوره أن يفعله، والإتيان بسورة فوق مقدورهم، فالعلاقة بين الأمر والتعجيز هي أن الأمر يكون في الممكنات، والتعجيز في المستحيلات [٢].

"وقوة المنطوق الإنجازية جزء مكمل لمعناه، ولذلك استخدم القرآن لفظة سورةٍ بالتنوين للتنكير؛ أي إيتوا بسورةٍ ما. كما تعبر عن التبكيت والتخجيل لهم. وكذلك يتدعم الإنجاز باستخدام لفظ (من) التبعيضية الدالة على القلة، وهي مبالغة مناسبة لمقام التحدي، وتعجيز بلغاء العرب المرتابين فيه عن الإتيان بما يضاهيه"[٣]؛ لذا فقد جاءت الآية السابقة وهي تحمل معنى التعجيز بغرض إظهار عجز من يرى أن في وسعه أن يفعل أمرًا ليس بمقدوره أن يفعله.

كما أن العجز كفعل تأثيري حاصل لا محالة، فقد خاطبهم مجتمعين، وأردف تحديهم حينما طلب منهم دعوة شهدائهم لإعانتهم أو قضاء حاجاتهم، وهو ما يسميه (أوستين) بـ " مصاحبة المنطوق الخاصة بالمتكلم" [٤]. فالتداولية في الفعل الكلامي ملحوظة في الفعل الإنشائي، وهو الأمر ﴿فَأْتُواْ﴾ المراد به

(١) المنار في علوم القرآن/ للدكتور محمد علي حسن ص ٣٧.
(٢) ينظر: دراسات في علم المعاني/ عبد الواحد حسن الشيخ ص ٨٠.
(٣) الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، سورة البقرة ــ دراسة تداولية/ محمد مدور ص ١٨٠.
(٤) الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) ص١٨١.

التعجيز، وهو معنى خفي غير ملفوظ. ثم احتج ـ سبحانه ـ على صحة القرآن، وأنه ليس بمنقول، فقال تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾[1].

والفاء هنا للتعقيب، أي: إذا كان القرآن منقولاً كما يدَّعون، فيجب عليهم أن يأتوا بحديث مثله، إن كانوا صادقين. وقال تعالى ـ هنا ـ: ﴿ فَلْيَأْتُوا ﴾ ، بصيغة المضارع المسبوق بلام الأمر ومن دون وساطة: ﴿قُلْ ﴾ خلافًا للآيات السابقة؛ إذ قال فيها: ﴿قُلْ فَأْتُوا ﴾ ، والسر في ذلك:

أولاً: أنَّ التحدي بقوله تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا ﴾ تَحَدٍّ غير مباشر يعمُّ كل من نَسَب إلى النَّبي (ﷺ) تقوُّلَ القرآن تارةً، والافتراء على ربه ﷻ تارةً أخرى. أما التحدي بقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا ﴾ فهو تحدٍّ مباشر، ويخص كل من نَسَب إلى النبي(ﷺ) افتراء القرآن.

ثانيًا: أن التعبير بصيغة المضارع المسبوق بلام الأمر ﴿ فَلْيَأْتُوا ﴾ يفيد تجدد التحدي واستمراره دون انقطاع، بخلاف صيغة الأمر ﴿فَأْتُوا ﴾ ، فإن التعبير بها يفيد احتمال وقوع الفعل مرة واحدة ووقوعه أكثر من ذلك [2].

وتأسيسًا على ما تقدم يمكن أن نلمح القوة الإنجازية للفعل الكلامي كما يأتي:

- **المحتوى اللفظي** ← فعل الأمر (ائتِ)، و(واو الجماعة) فاعل.
- **المحتوى القضوي** ← طلب الإتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه.
- **القوة الإنجازية والتأثيرية** ← التحدي والتعجيز لهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بمثل سورة منه نظمًا وبيانًا، وهذا هو الوجه الذي أعجز العرب سابقًا ولا حقًا.

(١) الطور: الآية (٣٤).

(٢) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، جمع وإعداد/ علي بن نايف الشحود ص٤٨.

تعليق واستنتاج:

ظهر من خلال العرض السابق أن الأمر في هذه الآية يحمل غرضًا إنجازيًا يتمثل في التحدي والتعجيز للمشركين بأن يأتوا بمثل هذا القرآن أو يأتوا بسورة من مثله ليظهر كذبهم وأنهم المفترون على الله تعالى ونبيه (ﷺ).

*****

٤) (التَّعريض)

قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (١)

المعنى العام للآية:

" قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ يعني القرآن الذي أُكرِموا به وَبِرَحْمَتِهِ يعني الإسلام فَبِذلِكَ أي فبمجيئهما فَلْيَفْرَحُوا؛ أي: لا بالأمور الفانية القليلة المقدار، الدنيئة القدر والوقع، هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ؛ أي: من الأموال وأسباب الشهوات؛ إذ لا ينتفع بجميعها ولا يدوم، ويفوت به اللذات الباقية، بحيث يحال بينهم وبين ما يشتهون" (٢).

الشرح والتحليل:

عندما نتأمل معنى هذه الآية الكريمة نجد أن أسلوب الأمر بها (فليفرحوا) يُلْمِح إلى معنى آخر يُفْهَم من سياق الكلام، وهو التعريض بالمشركين الذين فرحوا بالدنيا وشهواتها الزائلة، خلافًا للمعنى الحقيقي المتبادر منه، "فقد جِيءَ بِالْأَمْرِ بِالْقَوْلِ مُعْتَرِضًا بَيْنَ الْجُمْلَةِ الْمُفَرَّعَةِ وَالْجُمْلَةِ الْمُفَرَّعِ عَلَيْهَا تَنْوِيهًا بِالْجُمْلَةِ الْمُفَرَّعَةِ، بِحَيْثُ يُؤْمَرُ الرَّسُولُ أَمْرًا خَاصًّا بِأَنْ يَقُولَهَا وَإِنْ كَانَ جَمِيعُ مَا يُنَزَّلُ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ مَأْمُورًا بِأَنْ يَقُولَهُ. وَتَقْدِيرُ نَظْمِ الْكَلَامِ: قُلْ لَهُمْ فَلْيَفْرَحُوا بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ بِذَلِكَ لِيَفْرَحُوا.

---

(١) يونس: من الآية (٥٨).

(٢) تفسير القاسمي (محاسن التأويل) ٦/ ٣٥.

فَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ: فَلْيَفْرَحُوا فَاءُ التَّفْرِيعِ، وبِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ مَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِفِعْلِ فَلْيَفْرَحُوا قُدِّمَ عَلَى مُتَعَلَّقِهِ لِلِاهْتِمَامِ بِهِ لِلْمُسْلِمِينَ وَلِإِفَادَةِ الْقَصْرِ؛ أَيْ: بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ، فَهُوَ قَصْرُ قَلْبٍ تَعْرِيضِيٌّ بِالرَّدِّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ ابْتَهَجُوا بِعَرَضِ الْمَالِ فَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا. وَالْإِشَارَةُ فِي قَوْلِهِ: فَبِذلِكَ لِلْمَذْكُورِ، وَهُوَ مَجْمُوعُ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ، وَاخْتِيرَ لِلتَّعْبِيرِ عَنْهُ اسْمُ الْإِشَارَةِ لِمَا فِيهِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى التَّنْوِيهِ وَالتَّعْظِيمِ مَعَ زِيَادَةِ التَّمْيِيزِ وَالِاخْتِصَارِ" (١).

الفعل الإنجازي المتضمن في القول:

ورد التعريض في هذه الآية كفعل إنجازيّ لأسلوب الأمر بوصفه فعلاً يحمل أبعادًا تلميحية، منها: التعريض من خلال الفرح بفضل الله ورحمته وأفضليته عن متاع الدنيا من المال والأولاد الذي ابتهج به المشركون، فَهُوَ قَصْرُ قَلْبٍ تَعْرِيضِيٌّ بِالرَّدِّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ ابْتَهَجُوا بِعَرَضِ الْمَالِ فَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا.

وتأسيسًا على ما تقدم يمكن أن نلمح القوة الإنجازية للفعل الكلامي كما يأتي:

- **المحتوى اللفظي** ← فعل الأمر (فليفرح)، و(واو الجماعة) فاعل.
- **المحتوى القضوي** ← طلب الفرح بفضل الله ورحمته دون الأموال والأولاد.
- **القوة الإنجازية والتأثيرية** ← التعريض بالأمر بالفرح بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ، فَهُوَ قَصْرُ قَلْبٍ تَعْرِيضِيٌّ بِالرَّدِّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ ابْتَهَجُوا بِعَرَضِ الْمَالِ فَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا.

(١) التحرير والتنوير ١١/ ٢٠٤.

تعليق واستنتاج:

اتَّضح مما سبق أن الأمر في هذه الآية يحمل غرضًا إنجازيًا يتمثل في التعريض بأفضلية فضل الله وما أعدَّه لعباده الصالحين من رحمة ونعيم مقيم عما يجمعه المشركون ويفرحوا به في الدنيا من مال وأولاد، فَهُوَ قَصْرُ قَلْبٍ تَعْرِيضِيٌّ بِالرَّدِّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ ابْتَهَجُوا بِعَرَضِ الْمَالِ فَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا.

*****

٥) (التَّهَكُّم)

قال تعالى: ﴿ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ﴾ (١)

المعنى العام للآية:

"المعنى: أنَّه أَمَرَهُم بالعزم والإجماع على قصده، والسعي في إهلاكه، على أي وجه يمكنهم لشدة ثقته بالله وعدم مبالاته بهم"(٢).

الشرح والتحليل:

يظهر في الآية السابقة التهكم بالمشركين وبشركائهم من الأصنام، وهو معنى خفي يحدده السياق والمقام؛ وذلك في إسناد الإجماع إلى الشركاء، " فإن قلت: كيف جاز إسناد الإجماع إلى الشركاء؟ قلت: على وجه التهكم، كقوله قُلِ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ"(٣).

و"المراد من الأمر هنا وجوه كيدهم ومكرهم، فالتقدير لا تَدَعُوا من أمركم شيئًا إلا أحضرتموه وَشُرَكاءَكُمْ؛ يعني وادعوا شركاءكم يعني آلهتكم فاستعينوا بها لتُجمِع معكم وتعينكم على مطلوبكم، وإنما حثَّهم على الاستعانة بالأصنام بناءً

(١) يونس: من الآية (٧١).

(٢) البحر المديد/ لابن عجيبة ٢/ ٤٨٨.

(٣) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل ١/ ٢٣٧.

على مذهبهم واعتقادهم أنها تضر وتنفع مع اعتقاده أنها جماد لا تضر ولا تنفع فهو كالتبكيت والتوبيخ لهم [١]".

"وَصِيغَةُ الْأَمْرِ فِي قَوْلِهِ: فَأَجْمِعُوا مُسْتَعْمَلَةٌ فِي التَّسْوِيَةِ، أَيْ إِنَّ عَزْمَهُمْ لَا يَضِيرُهُ بِحَيْثُ هُوَ يُغْرِيهِمْ بِأَخْذِ الْأُهْبَةِ التَّامَّةِ لِمُقَاوَمَتِهِ. وَزَادَ ذِكْرُ شُرَكَائِهِمْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَخْشَاهَا؛ لِأَنَّهَا فِي اعْتِقَادِهِمْ أَشَدُّ بَطْشًا مِنَ الْقَوْمِ، وَذَلِكَ تَهَكُّمٌ بِهِمْ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [٢]. وَعَطْفُ جُمْلَةِ: ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً بـ "ثُمَّ" الدَّالَّةِ عَلَى التَّرَاخِي فِي الرُّتْبَةِ لِمَا تَتَضَمَّنُهُ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ مِنَ التَّرَقِّي فِي قِلَّةِ مُبَالَاتِهِ بِمَا يُهَيِّئُونَهُ لَهُ مِنَ الضُّرِّ بِحَيْثُ يَتَصَدَّى لَهُمْ تَصَدِّي الْمُشِيرِ بِمَا يُسَهِّلُ لَهُمُ الْبُلُوغَ إِلَى الْإِضْرَارِ بِهِ الَّذِي يَنْوُونَهُ وَإِزَالَةَ الْعَوَائِقِ الْحَائِلَةِ دُونَ مَقْصِدِهِمْ. وَجَاءَ بِمَا ظَاهِرُهُ نَهْيُ أَمْرِهِمْ عَنْ أَنْ يَكُونَ غُمَّةً عَلَيْهِمْ مُبَالَغَةً فِي نَهْيِهِمْ عَنِ التَّرَدُّدِ فِي تَبَيُّنِ الْوُصُولِ إِلَى قَصْدِهِمْ حَتَّى كَأَنَّ شَأْنَهُمْ هُوَ الْمَنْهِيُّ عَنْ أَنْ يَكُونَ الْتِبَاسًا عَلَيْهِمْ؛ أَيِ اجْتَهِدُوا فِي أَنْ لَا يَكُونَ ذَلِكَ"[٣]. يقول القاسمي:" فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ أي شأنكم في إهلاكي وَشُرَكاءَكُمْ يعني آلهتهم وهو تَهَكُّمٌ بهم، أو نظراءهم في الشرك"[٤].

الفعل الإنجازي المتضمن في القول:

ورد التعريض في هذه الآية كفعلٍ إنجازيّ لأسلوب الأمر بوصفه فعلاً يحمل أبعادًا تلميحية، منها: التَّهَكُّم من إسناد الإجماع إلى الشركاء؛ أي وادعوا شركاءكم يعني آلهتكم فاستعينوا بها لتُجمِع معكم وتُعينُكم على مطلوبكم وإنَّما

(١) تفسير الخازن ٢/ ٤٥٤.
(٢) الأعراف: الآية (١٩٥).
(٣) التحرير والتنوير ١١/ ٢٣٩.
(٤) تفسير القاسمي ٦/ ٤٩.

حثَّهم على الاستعانة بالأصنام بناءً على مذهبهم واعتقادهم أنها تضر وتنفع مع اعتقاده أنها جماد لا تضر ولا تنفع تهكُّمًا بهم وتبكيتًا وتوبيخًا لهم.

وتأسيسًا على ما تقدم يمكن أن نلمح القوة الإنجازية للفعل الكلامي كما يأتي:

- **المحتوى اللفظي** ← فعل الأمر (أجْمِع)، و(واو الجماعة) فاعل.
- **المحتوى القضوي** ← طلبِ أَخْذِ الْأُهْبَةِ التَّامَّةِ لِمُقَاوَمَتِهِ مع دعوة شركاءهم يعني آلهتهم للاستعانة بها.
- **القوة الإنجازية والتأثيرية** ← التهكُّم بهم، فِي قِلَّةِ مُبَالَاتِهِ بِمَا يُهَيِّئُونَهُ لَهُ مِنَ الضُّرِّ بِحَيْثُ يَتَصَدَّى لَهُمْ تَصَدِّي الْمُشِيرِ بِمَا يُسَهِّلُ لَهُمُ الْبُلُوغَ إلى الْإِضْرَارِ بِهِ الَّذِي يَنْوُونَهُ وَإِزَالَةَ الْعَوَائِقِ الْحَائِلَةِ دُونَ مَقْصِدِهِمْ.

تعليق واستنتاج:

ظهر من خلال العرض السابق أن الأمر في هذه الآية يحمل غرضًا إنجازيًا يتمثل في التهكم بهم من إسناد الإجماع إلى الشركاء؛ وذلك بدعوة آلهتهم والاستعانة بها لتُجمع معهم وتعينهم على مطلوبهم، وإنما حثهم على الاستعانة بالأصنام بناء على مذهبهم واعتقادهم أنها تضر وتنفع، مع اعتقاده أنها جماد لا تضر ولا تنفع تهكُّمًا بهم وتبكيتًا وتوبيخًا لهم.

*****

٦) (التَّسلية)

قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾ [١]

المعنى العام للآية:

"فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ أي منتهى أمرهم. والمراد بـ(المنذرين) المكذبين. والتعبير به إشارة إلى إصرارهم عليه؛ حيث لم يُفِد الإنذار فيهم. وقد جرت السنة الربانية ألا يهلك قوم بالاستئصال إلا بعد الإنذار؛ لأن من أنذر فقد أعذر. وفي الأمر بالنظر تهويل لما جرى عليهم، وتحذير لمن كذب الرسول(ﷺ) وتسلية له".

الشرح والتحليل:

أمر المولى ﷻ نبيه بالنظر إلى عاقبة المكذبين في الأمم السابقة ووقوع العذاب بهم؛ تسليةً له (ﷺ)؛ حيث يقول الشوكاني: ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾، فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَتَهْدِيدٌ لِلْمُشْرِكِينَ وَتَهْوِيلٌ عَلَيْهِمْ"[٢]، وهذا ما أكده صاحب البحر المديد [٣] وغيره [٤].

الفعل الإنجازي المتضمن في القول:

لقد أفاد إسناد الفعل إلى الضمير المستتر العائد إلى النبي محمد (ﷺ) تسليةً له وَتَهْدِيدًا لِلْمُشْرِكِينَ وَتَهْوِيلاً عَلَيْهِمْ.

---

(١) يونس: من الآية (٧٣).

(٢) فتح القدير ٢/ ٥٢٦.

(٣) البحر المديد ٢/ ٤٨٩.

(٤) ينظر: روح البيان ٤/ ٦٧، وتفسير القاسمي ٦/ ٥٠، والتحرير والتنوير ١١/ ٢٤٤، وصفوة التفاسير ص ٥٥، وتفسير الشعراوي ١٠/ ٦١١٥.

وتأسيسًا على ما تقدم يمكن أن نلمح القوة الإنجازية للفعل الكلامي كما يأتي:

- **المحتوى اللفظي** ← فعل الأمر (انظر)، و(الضمير المستتر) فاعل.
- **المحتوى القضوي** ← طلب النظر إلى عاقبة الأمم التي كذبت بالرسل.
- **القوة الإنجازية والتأثيرية** ← تسليةُ النبي (ﷺ) وَتَهْدِيدُ المُشْرِكِينَ والتهويل عليهم، والتحذير لمن كذَّب الرسول (ﷺ).

تعليق واستنتاج:

ظهر من خلال العرض السابق أن الأمر في هذه الآية يحمل غرضًا إنجازيًا يتمثل في التسلية للنبي محمد (ﷺ)، وَالتَهْدِيدُ للمُشْرِكِينَ والتهويل عليهم، والتحذير لمن كذَّب الرسول (ﷺ).

****

٧) (التَّثبيت)

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[١]

المعنى العام للآية:

" وقال موسى لمن آمن من قومه، وقد رأى خوفهم من الفتنة والاضطهاد: إن كنتم آمنتم بالله حق الإيمان فعليه توكلوا، وبوعده فثقوا إن كنتم مستسلمين مذعنين؛ إذ لا يكون الإيمان يقينا إلا إذا صدّقه العمل وهو الإسلام"[٢].

الشرح والتحليل:

ذكر العلماء أنَّ فعل الأمر" توكلوا " في الآية السابقة يفيد معنى "التثبيت"؛ وذلك في "خِطَابُ مُوسَى لِجَمِيعِ قَوْمِهِ وَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ بِمِصْرَ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ خَاطَبَهُمْ بِذَلِكَ بَعْدَ أَنْ دَعَاهُمْ وَآمَنُوا بِهِ كَمَا يُؤْذِنُ بِهِ قَوْلُهُ: ﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ ﴾. وَالْغَرَضُ مِنْهُ تَثْبِيتُ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ فِي حَضْرَةِ فِرْعَوْنَ عَلَى تَوَكُّلِهِمْ،

(١) يونس: من الآية (٨٤).

(٢) تفسير المراغي/ أحمد بن مصطفى المراغي ١١/ ١٤٥.

وَأَمْرُ مَنْ عَدَاهُمْ ـ الَّذِينَ خَافَ ذُرِّيَّتُهُمْ أَنْ يُؤَنِّبُوهُمْ عَلَى إِظْهَارِ الْإِيمَانِ ـ بِأَنْ لَا يَجَبِّنُوا أَبْنَاءَهُمْ، وَأَنْ لَا يَخْشَوْا فِرْعَوْنَ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾. وَالْمَعْنَى: إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ حَقًّا كَمَا أَظْهَرَتْهُ أَقْوَالُكُمْ فَعَلَيْهِ اعْتَمِدُوا فِي نَصْرِكُمْ وَدَفْعِ الضُّرِّ عَنْكُمْ، وَلَا تَعْتَمِدُوا فِي ذَلِكَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِمُصَانَعَةِ فِرْعَوْنَ وَلَا عَلَى فِرْعَوْنَ بِإِظْهَارِ الْوَلَاءِ لَهُ... فَتَقْدِيمُ الْمَجْرُورِ عَلَى مُتَعَلَّقِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾ لِإِفَادَةِ الْقَصْرِ، وَهُوَ قَصْرٌ إِضَافِيٌّ يُفَسِّرُهُ قَوْلُهُ: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ (١)، فَآلَ الْمَعْنَى إِلَى نَهْيِهِمْ عَنْ مَخَافَةِ فِرْعَوْنَ"(٢)؛ "أي: قال موسى لقومه تطمينًا لقلوبهم، وقد رأى الخوف من فرعون يعلو وجوه بعضهم: يا قوم إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ حق الإيمان، وأسلمتم وجوهكم له حق الإسلام فعليه وحده اعتمدوا، وبجنابه وحده تمسَّكوا، فإن من توكل على الله واتَّجه إليه، كان الله معه بنصره وتأييده"(٣).

الفعل الإنجازي المتضمن في القول:

لقد أفاد الأمر في هذه الآية السابقة فعلاً إنجازيًّا وهو " التثبيت" من تَقْدِيمُ الْمَجْرُورِ عَلَى مُتَعَلَّقِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾ لِإِفَادَةِ الْقَصْرِ، وَهُوَ قَصْرٌ إِضَافِيٌّ يُفَسِّرُهُ قَوْلُهُ: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ ؛ وَالْغَرَضُ مِنْهُ تَثْبِيتُ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ فِي حَضْرَةِ فِرْعَوْنَ عَلَى تَوَكُّلِهِمْ، وَأَمْرُ مَنْ عَدَاهُمْ ممن يخافون من تأنيب ذريتهم لهم حال إظهارهم الإيمان برب موسى: بِأَنْ لَا يَجَبِّنُوا أَبْنَاءَهُمْ، وَأَنْ لَا يَخْشَوْا فِرْعَوْنَ، وَلِذَلِكَ قَالَ: إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا.

(١) يونس: من الآية (٨٣).
(٢) التحرير والتنوير ١١/ ٢٦١، ٢٦٢.
(٣) التفسير الوسيط ٧/ ١١٦.

وتأسيسًا على ما تقدم يمكن أن نلمح القوة الإنجازية للفعل الكلامي كما يأتي:

- **المحتوى اللفظي** ← فعل الأمر (توكلوا)، و المجرور المقدَّم على متَعلَّقه (فَعَلَيْهِ).
- **المحتوى القضوي** ← طلب التوكل والاعتماد على الله، وعدم الخوف.
- **القوة الإنجازية والتأثيرية** ← تَثْبِيتُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالله فِي حَضْرَةِ فِرْعَوْنَ عَلَى تَوَكُّلِهِمْ؛ وفي ذلك تطمينًا لقلوبهم، وقد رأى الخوف من فرعون يعلو وجوه بعضهم.

تعليق واستنتاج:

ظهر من العرض السابق أن الأمر في هذه الآية يحمل غرضًا إنجازيًا يتمثل في تَثْبِيتُ الَّذِينَ آمَنُوا بِموسى فِي حَضْرَةِ فِرْعَوْنَ عَلَى تَوَكُّلِهِمْ؛ أي وَالْمَعْنَى: إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ حَقًّا كَمَا أَظْهَرَتْهُ أَقْوَالُكُمْ فَعَلَيْهِ اعْتَمِدُوا فِي نَصْرِكُمْ وَدَفْعِ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَعْتَمِدُوا فِي ذَلِكَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِمُصَانَعَةِ فِرْعَوْنَ وَلَا عَلَى فِرْعَوْنَ بِإِظْهَارِ الْوَلَاءِ لَهُ.

*****

ثالثًا: الأثر التداولي لأفعال الكلام في أسلوب النداء

توطئة:

النداء: هو طلب الإقبال بحرف ناب مناب الفعل (أدعو) أو في معناه، فإذا قلت: يا محمد، كأنك قلت: أدعو محمدًا، والأصل في المنادى أن يكون إنسانًا عاقلاً، يتأتى منه الإقبال والحضور وتلبية النداء، وقد يخرج النداء من معنى الاقبال والحضور الى معاني بلاغية مجازية متعددة تفهم من سياق الكلام، وكان

على المتلقي إبراز ذلك الغرض ودافعه النفسي، وقيل إن الحرف هو الذي ينقل معنى الجملة . حين يحل محل الفعل ـ من الخبر إلى الإنشاء [١].

وقد تستعمل صيغ النداء في غير هذا الأصل الذي وُضعت له، فتفيد معان ودلالات كثيرة قد تفهم من السياق وقرائن الأحوال، مثل: التحسر والتوجّع والندبة والزجر[٢] والدعاء، والاستعطاف... إلى غير ذلك من المعاني التي تفيدها هذه الصيغ بمعونة السياق وقرائن الأحوال، هذه هي ما تعرف في علم البلاغة بـ "المعاني المجازية"، وهي ما يطلق عليها في التداولية الحديثة اسم الأغراض الإنجازية، التي تتعلق بالأفعال الكلامية، والتي سنقف عليها فيما يأتي:

(١)(**توجيه الأذهان**)

قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾[٣].

المعنى العام للآية:

المعنى: " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ(عليه السلام)؛ أي: خبره الذي له شأن وخطر، مع قومه المغترين بعزة الأموال والأعوان؛ ليتدبروا ما فيه من صحة توكله على الله، ونظره إلى قومه، بعين عدم المبالاة بهم، وبمكايدهم، وزوال ما تمتعوا به من النعيم، بإغراقهم بالطوفان، فلعلهم يكفّون عن كفرهم، وتلين أفئدتهم ويستيقنون صحة نبوتك؛ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنْ كانَ كَبُرَ؛ أي شقَّ وثقل عَلَيْكُمْ مَقامِي؛ أي: مكاني، يعني نفسه، أو مكثي بين أظهركم مددًا طوالاً، ألف سنة إلا خمسين عامًا أو قيامي بالدعوة إلى الله، من رؤيتكم ذلتي بقلة الأموال والأعوان، ومنع

(١) ينظر: علم البيان بين النظريات والأصول/ د. ديزيرة سقال ص٦١، ومعاني الحروف في أُسلوب النداءِ القرآني/ د. هُدى ناجي عبيد البديري ص ١٧٨.

(٢) ينظر: علم المعاني/ د. عبد العزيز عتيق ص١٠١.

(٣) يونس: من الآية (٧١).

عزتكم بهما عن الانقياد لي وَتَذْكِيرِي بِآياتِ اللَّهِ أي بحججه وبراهينه، أو تخويفي بعذابه فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ أي عمدت في دفع ما قصدتموني به فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ؛ أي: شأنكم في إهلاكي"(١).

الشرح والتحليل:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد (ﷺ): ﴿وَٱتْلُ﴾ على هؤلاء المشركين خبر نوح (عليه السلام)؛ ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى﴾ وَافْتِتَاحُ خِطَابِ نُوحٍ قَوْمَهُ بِـ ﴿يَٰقَوْمِ﴾ إيذانًا بأهمية مَا سَيُلْقِيهِ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ النِّدَاءَ طَلَبُ الْإِقْبَالِ. وَلَمَّا كَانَ هُنَا لَيْسَ لِطَلَبِ إِقْبَالِ قَوْمِهِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ مَا ابْتَدَأَ خِطَابَهُمْ إِلَّا فِي مَجْمَعِهِمْ تَعَيَّنَ أَنَّ النِّدَاءَ مُسْتَعْمَلٌ مَجَازًا فِي طَلَبِ الْإِقْبَالِ الْمَجَازِيِّ، وَهُوَ تَوْجِيهُ أَذْهَانِهِمْ إِلَى فَهْمِ مَا سَيَقُولُهُ.

وَاخْتِيَارُ التَّعْبِيرِ عَنْهُمْ بِوَصْفِ كَوْنِهِمْ قَوْمَهُ تَحْبِيبٌ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ لِيَأْخُذُوا قَوْلَهُ مَأْخَذَ قَوْلِ النَّاصِحِ الْمُتَطَلِّبِ الْخَيْرَ لَهُمْ؛ لِأَنَّ الْمَرْءَ لَا يُرِيدُ لِقَوْمِهِ إِلَّا خَيْرًا. وَحُذِفَتْ يَاءُ الْمُتَكَلِّمِ مِنَ الْمُنَادَى الْمُضَافِ إِلَيْهَا عَلَى الِاسْتِعْمَالِ الْمَشْهُورِ فِي نِدَاءِ الْمُضَافِ إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.. وَمَعْنَى: إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي شَقَّ عَلَيْكُمْ وَأَحْرَجَكُمْ"(٢).

يقول صاحب التفسير الوسيط:" وخاطبهم(عليه السلام) بقوله: يا قَوْمِ؛ استمالةً لقلوبهم وإشعارًا لهم بأنهم أهله وأقرباؤه الذين يحب لهم الخير، ويكره لهم الشر"(٣).

(١) تفسير القاسمي ٦/ ٤٩، ٥٠.

(٢) التحرير والتنوير ١١/ ٢٣٦.

(٣) التفسير الوسيط ٧/ ١٠٤.

الفعل الإنجازي المتضمن في القول:

لقد أفاد أسلوب النداء في هذه الآية السابقة فعلًا إنجازيًّا وهو " توجيه الأذهان"؛ لِأَنَّ النِّدَاءَ طَلَبُ الْإِقْبَالِ. وَلَمَّا كَانَ النداء ـ هنا ـ ليس على حقيقته، وهو طَلَبِ إِقْبَالِ قَوْمِهِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ مَا ابْتَدَأَ خِطَابَهُمْ إِلَّا فِي مَجْمَعِهِمْ تَعَيَّنَ أَنَّ النِّدَاءَ مُسْتَعْمَلٌ مَجَازًا فِي طَلَبِ الْإِقْبَالِ الْمَجَازِيِّ، وَهُوَ تَوْجِيهُ أَذْهَانِهِمْ إِلَى فَهْمِ مَا سَيَقُولُهُ.

وتأسيسًا على ما تقدم يمكن أن نلمح القوة الإنجازية للفعل الكلامي كما يأتي:

- **المحتوى اللفظي** ← أسلوب النداء (يا)، والمنادَى (قوم).
- **المحتوى القضوي** ← طلب إقبال قومه إليه، ودعوتهم له.
- **القوة الإنجازية والتأثيرية** ← طَلَبِ الْإِقْبَالِ الْمَجَازِيِّ، وَهُوَ تَوْجِيهُ أَذْهَانِهِمْ إِلَى فَهْمِ مَا سَيَقُولُهُ لهم.

تعليق واستنتاج:

ظهر من العرض السابق أن أسلوب النداء في هذه الآية الكريمة يحمل غرضًا إنجازيًا يتمثل في تَوْجِيهُ أَذْهَانِهِمْ إِلَى فَهْمِ مَا سَيَقُولُهُ؛ لِأَنَّ النِّدَاءَ طَلَبُ الْإِقْبَالِ. وَالنداء ـ هنا ـ ليس على حقيقته؛ حيث يهدف نوح (عليه السلام) من هذا النداء وغرضه الإنجازي استمالة قلوب قومه، وإشعارهم بأنهم أهله وأقرباؤه الذين يحب لهم الخير، ويكره لهم الشر؛ وذلك من خلال ندائهم بِـ ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ إيذانًا بأهمية مَا سَيُلْقِيهِ إِلَيْهِمْ.

*****

(٢)(الدُّعـاء)

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾ (١).

المعنى العام للآية:

" ربنا امحق أموالهم بالآفات التي تصيب زروعهم والجوائح التي تهلك أنعامهم وتنقص مكاسبهم فيذوقوا ذلَّ الحاجة، واطبع على قلوبهم وزدها قسوة على قسوتها وإصرارًا وعنادًا، فيستحقوا شديد عقابك، ولا يؤمنوا إلا إذا رأوا عذابك، ولا ينفعهم إيمانهم إذ ذاك.

الشرح والتحليل:

في هذه الآية الكريمة يحكي المولى عزوجل دعاء موسى (عليه السلام) على فرعون وقومه بأسلوب النداء في قوله: ﴿ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾.

" فإن قلتَ: ما معنى قوله رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ؟ قلتُ: هو دعاء بلفظ الأمر، كقوله: رَبَّنَا اطْمِسْ، وَاشْدُدْ؛ وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضًا مكرّرًا وردّد عليهم النصائح والمواعظ زمانًا طويلاً، وحذَّرهم عذابَ الله وانتقامه، وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين، ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات إلا كفرًا، وعلى الإنذار إلا استكبارًا، وعن النصيحة إلا نبوًّا، ولم يبقَ له مطمعٌ فيهم، وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجيء منهم إلا الغى والضلال، وأنّ إيمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة، أو علم ذلك بوحي من الله ـ اشتد غضبه عليهم، وأفرط مقته وكراهته لحالهم، فدعا الله عليهم بما علم أنه لا يكون غيره، كما تقول: لعن الله إبليس، وأخزى الله الكفرة، مع علمك أنه لا يكون غير ذلك، وليشهد عليهم بأنه لم يبقَ له فيهم

(١) يونس: من الآية (٨٨).

حيلة، وأنهم لا يستأهلون إلا أن يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه، كأنه قال: ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال"(١).

وافْتُتِحَ الدُّعَاءُ بِالنِّدَاءِ لِمُنَاسَبَتِهِ لِمَقَامِ الدُّعَاءِ. وَنُودِيَ اللَّهُ بِوَصْفِ الرُّبُوبِيَّةِ تَذَلُّلًا لِإِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ... وَأُعِيدَ النِّدَاءُ بَيْنَ الْجُمْلَةِ الْمُعَلَّلَةِ وَالْجُمْلَةِ الْمُعَلِّلَةِ لِتَأْكِيدِ التَّذَلُّلِ وَالتَّعَرُّضِ لِلْإِجَابَةِ وَلِإِظْهَارِ التَّبَرُّؤِ مِنْ قَصْدِ الِاعْتِرَاضِ... وَإِنَّمَا عُدِلَ عَنْ إِيقَاعِ جَوَابِ الدُّعَاءِ بِصِيغَةِ إِثْبَاتِ الْإِيمَانِ، إِلَى إِيرَادِهِ بِصِيغَةِ نَفْيٍ مُغَيًّا بِغَايَةٍ هِيَ رُؤْيَةُ الْعَذَابِ سُلُوكًا لِأُسْلُوبٍ بَدِيعٍ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ تَرْتِيبِ الْجَوَابِ عَلَى الدُّعَاءِ وَبَيْنَ مَا اسْتَبَانَ لَهُ مِنْ طَبْعِ نُفُوسِهِمْ بِطَبْعِ أَنَّهُمْ لَا تَنْفَعُ فِيهِمُ الْحُجَجُ وَأَنَّ قَسَاوَةَ قُلُوبِهِمْ وَشَرَاسَةَ نُفُوسِهِمْ لَا تُذَلِّلُهَا إِلَّا الْآلَامُ الْجَسَدِيَّةُ وَالنَّفْسَانِيَّةُ، وَكُلُّ ذَلِكَ عِلَاجٌ بِمَا هُوَ مَظِنَّةُ إِيصَالِهِمْ مِنْ طُرُقِ الضَّغْطِ وَالشِّدَّةِ؛ حَيْثُ لَمْ تُجْدِ فِيهِمْ وَسَائِلُ الْحُجَّةِ، فَقَالَ: فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ؛ أَيْ أَنَّ شَأْنَهُمْ ذَلِكَ، وَهَذَا إِيجَازٌ بَدِيعٌ؛ إِذْ جَمَعَ فِي هَذَا التَّرْكِيبِ جَوَابَ الدُّعَاءِ وَبَيَانَ عِلَّةِ الدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ(٢).

الفعل الإنجازي المتضمن في القول:

لقد أفاد أسلوب النداء في هذه الآية السابقة فعلًا إنجازيًّا وهو " الدعاء"؛ لِأَنَّ النِّدَاءَ طَلَبُ الْإِقْبَالِ. وَلَمَّا كَانَ النداء ـ هنا ـ ليس على حقيقته؛ حيث افْتُتِحَ الدُّعَاءُ بِالنِّدَاءِ لِمُنَاسَبَتِهِ لِمَقَامِ الدُّعَاءِ. وَنُودِيَ اللَّهُ بِوَصْفِ الرُّبُوبِيَّةِ تَذَلُّلًا لِإِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ.

وتأسيسًا على ما تقدم يمكن أن نلمح القوة الإنجازية للفعل الكلامي كما يأتي:

- **المحتوى اللفظي** ← أسلوب النداء (رب)، والمنادَى (نا).
- **المحتوى القضوي** ← التماس إقبال المولى عزوجل إليه، ودعوته له.

(١) الكشاف ٢/ ٣٦٤، وتفسير المراغي ١١/ ١٤٨.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١١/ ٢٦٧ ـ ٢٧١.

– **القـوة الإنجازيــة والتأثيريــة** ← الـدُّعَاءِ. حيـث نُـودِيَ اللَّهُ عزوجـل بِوَصْـفِ الرُّبُوبِيَّةِ تَذَلُّلًا لِإِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ.

تعليق واستنتاج:

ظهر من العرض السابق أن أسلوب النداء في هذه الآية الكريمة يحمل غرضًا إنجازيًا يتمثل في الدعاء، حيث نادى اللَّهُ عزوجل بِوَصْفِ الرُّبُوبِيَّةِ تَذَلُّلًا لِإِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ... وَأُعِيدَ النِّدَاءُ بَيْنَ الْجُمْلَةِ الْمُعَلَّلَةِ وَالْجُمْلَةِ الْمُعَلِّلَةِ لِتَأْكِيدِ التَّذَلُّلِ وَالتَّعَرُّضِ لِلْإِجَابَةِ وَلِإِظْهَارِ التَّبَرُّؤِ مِنْ قَصْدِ الِاعْتِرَاضِ؛ أي ربنا امحق أموالهم بالآفات التي تصيب زروعهم والجوائح التي تهلك أنعامهم وتنقص مكاسبهم فيذوقوا ذل الحاجة، واطبع على قلوبهم وزدها قسوة على قسوتها وإصرارا وعنادا، فيستحقوا شديد عقابك، ولا يؤمنوا إلا إذا رأوا عذابك، ولا ينفعهم إيمانهم إذ ذاك.

*****

تعقـــيب

على المطلب الأول: الطلبيات في سورة يونس

والأثر التداولي لأفعال الكلام في أساليب (الاستفهام، والأمر، والنداء)

فـي هـذه الجزئيـة مـن جزئيـات البحـث تناولـتُ بالدراسـة والتحليـل الآيـات القرآنيــة التطبيقيــة لنظريــة الأفعــال الكلاميــة المتمثِّلــة فــي الأســاليب الطلبيــة (التوجيهيات) " الاستفهام، والأمر، والنداء" في سورة يونس، والأثر التداولي لهذه الأساليب؛ حيث تبين الآتي:

١. ظهور عدد من الأفعال الإنجازية غير المباشرة، وبخاصة تلك التي تتعلق بأسلوب الاستفهام، أو الأمر، أو النداء، مقصودًا بها الطلب، فلا يُقْصَد فيها اللفظ أو المعنى الظاهر القريب فحسب، بل يتعدى إلى ما هو أبعد من ذلك؛ حيث المعاني الخفية، والدلالات المجازية، لأغراض إنجازية متعددة منها: الإنكار، والتهكُّم، والتعجب، والاستهزاء، والتوبيخ، والاستبعاد، والنفي، والتحدي والتعجيز، والتهديد والدعاء، وتوجيه الأذهان... وغيرها.

٢. ظهر أنَّ الأفعال الإنجازية غير المباشرة لا تدل هيئتها التركيبية على زيادة في المعنى الإنجازي الحرفي، وإنما الزيادة فيما يُقصَد من معنى، ومدى استجابة السامع له، ومن هنا اتضحت علاقة الخروج عن الأصل بمفهوم المقام والقرينة.

٣. أنَّ أساليب (الاستفهام، والأمر، والنداء) تحمل أفعالاً كلامية شأنها كغيرها من الأفعال الكلامية الأخرى التي تؤثر في المخاطب بشرط معرفته السياق التواصلي، فإن فات المخاطب معرفة هذا السياق فات الأثر، الذي تحدثه هذه الأفعال في المتلقي؛ لذلك فإن أفعال الكلام لا يمكن استحضارها إلا باستحضار الشروط التداولية، ومقتضيات المقام والحال؛ لأنه لا يكفي أن يتلفظ بالفعل ليحصل بذلك ما يترتب عليه؛ بل قد يعرض أن يتلفظ بالفعل، ومن ثم لا يوجد له أثر في الخارج،
الحال [١].

٤. الاختلاف في تفسير الفعل الإنجازي المتضمن في القول: لبعض المواضع في سورة يونس وذلك تبعًا لتأويل أداة الاستفهام؛ وذلك كما في قوله تعالى:" ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾. فقد ذهب بعض العلماء إلى أن الفعل الإنجازي المتضمن في القول: هو الاستبطاء، في حين ذهب بعضهم إلى أنه " الاستبعاد".

٥. ظهر أنَّ لأسلوب الاستفهام أثر طيب في القرآن الكريم وخاصة في سورة يونس؛ نظرًا لما يعمله من جلب القارئ أو المستمع في عملية الاستدلال، بحيث إنه يشركه بحكم قوة الاستفهام وخصائصه، وهذه الأمور أيضًا هي

(١) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة/ أوستين ص ٢٧، ومدخل إلى علم النص ـ مشكلات بناء النص/ زتسيسلاف واوزنياك ص ٢١.

من سمات الاستفهام البلاغي في القرآن الكريم، حيث إنه يخدم مقاصد الخطاب، ويلعب دورًا أساسًا في الإقناع بالحجة. فللاستفهام بنية إعجازية تقوم على طرح القضية المخصوصة، ثم تقديم ما يشرحها ويعلِّلها.. وقد وُظِّف الاستفهام في "سورة يونس" توظيفًا برز من خلاله جمال النص القرآني وتنوع أساليبه الدلالية المعجِزة.

٦. كما ظهر أنَّ الأمر استراتيجية من استراتيجيات اللفظ التي يستعملها المتكلم قصد تهيئة المتلقي، أو لفت انتباهه واستمالته، وقد ورد هذا الفعل كثيرًا في القرآن الكريم وخصوصًا في سورة يونس؛ مما يدل على مراعاة القرآن الكريم للمتكلمين والمخاطبين، وأحوال التخاطب؛ "لأن نجاح عملية التخاطب يقاس ـ وفقًا لنظرية الأفعال الكلامية . بمدى اكتشاف المتلقي للموقف المعبر عنه خلال فهم قصد المتكلم. فالمتلقي لا يصل إلى قصد المتكلم إلا بعملية ذهنية استدلالية، وبمعونة السياق وأحواله، وقرائنه [١].

٧. امتدت سلسلة الأفعال الكلامية الأمرية (مباشرة وغير مباشرة) في الآيات القرآنية السابقة، فكان مسار القوة الإنجازية يتضاعف مع كل فعل كلامي لاحق، وكانت القوة الآمرة تعلو بتتابع البنيات التركيبية، فالأمر الموجَّه مباشرة بأفعال الأمر أكثر شدة من الأمر الضمني، فتظهر الأفعال الكلامية بالتدرج من الأدنى قوة إلى الأشد قوة...وهكذا.

٨. أنَّ الفعل الإنجازي المتضمن في القول: لفعل الأمر ﴿ٱئۡتِ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾ هو (الاستهزاء والسخرية)، وليس (التَّحدي والتَّعجيز)، الذي ذهب إليه بعض

(١) مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ص ٣٤، والأفعال الكلامية في آيات التعجيز ص ١٠٣٥

الباحثين المحدثين؛ اعتمادًا على بعض النصوص والأدلة ــ التي تثبت عكس مراده ــ فالملاحظ أنَّه أثناء محاولة الاستشهاد بالنص المذكور من كتاب ظلال القرآن حدث خلط بين التعجيز والاستهزاء. وقد ظهر أنَّ المعنيين متغايران، فالتعجيز قائم على التَّحدِّي والنِّدِّيَّة مع الجدِّيَّة، بخلاف الاستهزاء فهو قائم على السخرية والاستهانة بالخصم مع الهزل والعبث.

٩. أن أسلوب النداء قد يخرج من معناه الحقيقي وهو: طلب الإقبال والحضور الى معاني مجازية متعددة تُفْهَم من سياق الكلام، وقد ظهر ذلك جليًا من خلال ما ورد من معان ظهر أغلبها من خلال كتب التفسير التي كان لها الدور الكبير في تحديد الرؤيا الأساسية التي قام عليها البحث، فضلاً عن كتب البلاغة العربية، وكتب بلاغة القرآن التي أغنت البحث بلمسات لطيفة كان لها الأثر الواضح في بيان تلك المعاني.

١٠. ظهر أن أبرز معاني الحروف في أسلوب النداء هي: توجيه الأذهان، والدعاء، والتوجُّع والحزن والخوف والتعظيم والتشريف والتكريم والإهانة والتحقير والتنبيه والتعجب والتمني وغيرها، وهي أغراض إنجازية للأفعال الكلامية في أسلوب النداء في النص القرآني (سورة يونس).

******

المطلب الثاني

الإخباريات (التقريريَّات) Assrtives

نتناول في المطلب الجانب الآخر من الأفعال الكلامية، وهو الإخباريات؛ حيث نتعرف من خلاله على الوظائف التداولية للفعل الكلامي التقريري، الذي يخبر عن مواقف وأحداث تاريخية، ويروي أخبار الأمم السابقة، فقد اتَّخذ الخطاب القرآني من الخبر وسيلة لنقل الأخبار ووصف الحوادث وتقرير الحقائق، وتبليغ الدعوة [١].

فالأفعال الإخبارية أو بالأحرى الإثباتية ـ كما يسميها سيرل ـ تُعدُّ عنصرًا أساسًا في تقسيمه للأفعال الكلامية، وهي التي تختص بنقل المتكلم لأحواله وأخباره من خلال تركيزه على قضيةٍ ما؛ فمعناها: " أن نقدم الخبر بوصفه تمثيلاً لحالةٍ موجودة في العالم"[٢]، وتكون ذات صبغة صادقة أو كاذبة، والغرض الإنجازي لها: هو نقل المتكلم واقعةٍ ما (بدرجاتٍ متفاوتة) في ضوء قضية يُعبَّر بها عن هذه الواقعة. وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق أو الكذب، ويتضمن هذا الصنف أكثر أفعال الإيضاح عند أوستن، وكثيرًا من أفعال الأحكام، واتجاه الملاءمة من الكلمات إلى العالم [٣].

وهذه الأفعال الإخبارية لها معانٍ مباشرة كالوصف والإخبار، ومعانٍ غير مباشرة كالمدح، والوعد والوعيد، والدعاء، وغيرها، ويعتبر القرآن الكريم الشاهد الأساس في نقل أخبار الأنبياء وكيفية تبليغهم للرسالات، والأمم التي زالت بزوال

(١) ينظر: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، سورة البقرة ص ٦٧.

(٢) العقل واللغة والمجتمع ـ الفلسفة في العالم الواقعي/ جون سيرل ص ٢١٧.

(٣) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ٧٨، والأفعال الكلامية في القرآن الكريم، سورة البقرة ص ٦٧، وأفعال الكلام في سورة مريم ص ٨٨.

العصور، وسنحاول فيما يأتي دراسة بعض النماذج التي تمثل هذه الإخباريات (التقريريات) في سورة يونس، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: الوعـــيـد

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨﴾ [1].

المعنى العام للآية:

المعنى:" إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقاءَنا لا يتوقعونه لإنكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها. وَرَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا من الآخرة لغفلتهم عنها. وَاطْمَأَنُّوا بها وسكنوا إليها مُقصرِين هِمَمَهم على لذائذها وزخارفها، أو سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها. وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتِنا غافِلُونَ لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها ...أُولئِكَ مَأْواهُمُ النَّارُ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي"[2].

الشرح والتحليل:

ذكر العلماء أن قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ في مقام خبر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ وهي خبر (إنَّ) بمقتضى السياق، ويكون الخبر مؤكدًا بـ (إنَّ) ويتضمن اسمها (أي اسم إن) سبب الحكم وهو الخبر؛ لأن اسم الموصول تضمنت صلته أنهم لم يتوقعوا لقاء الله فانهمكوا في الشهوات وقنعوا بالدنيا وغفلوا عن آيات الله، وكل ذلك تأكيد لسبب الحكم وهو أن يكون مأواهم النار. وهنا نجد أسبابًا تضافرت وأوجبت عقابهم:

أولاً: اغتروا فلم يتوقَّعوا لقاء الله.

---

(١) يونس: الآية (٧، ٨).

(٢) تفسير البيضاوي ٣/ ١٠٥.

ثانيًا: رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وهووا في اللذات مرتعًا.

ثالثًا: غفلوا عن آيات الله القرآنية الكونية والتكليفية.

وهذه أسباب متتابعة بعضها يتبع بعضًا وكلها آثام، وقد قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ والإشارة إلى الأوصاف السابقة واستحضارها إشعار بأنها السبب في هذا الجزاء"[(١)].

وعلى ذلك فالمعنى المباشر القريب هو الإخبار عن حال هؤلاء المنكرين للبعث في الآخرة وأنَّ مأواهم وقرارهم هو النار والعذاب الأليم، أما المعنى غير المباشر والبعيد هو الوعيد الحاصل من تكرار إعادة الموصول (الذين) ثم الإخبار عن حالهم بقوله: (أولئك مأواهم)؛ ليكون وعيدًا لهم، ولكل من أنكر البعث وركن إلى شهوات الدنيا وملذاتها؛ حيث يقول الطاهر بن عاشور:" هَذَا اسْتِئْنَافُ وَعِيدٍ لِلَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْبَعْثِ وَلَا فَكَّرُوا فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ وَلَمْ يَنْظُرُوا فِي الْآيَاتِ نَشَأَ عَنِ الِاسْتِدْلَالِ عَلَى مَا كَفَرُوا بِهِ مِنْ ذَلِكَ جَمْعًا بَيْنَ الِاسْتِدْلَالِ الْمُنَاسِبِ لِأَهْلِ الْعُقُولِ وَبَيْنَ الْوَعِيدِ الْمُنَاسِبِ لِلْمُعْرِضِينَ عَنِ الْحَقِّ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ لَا تَنْفَعُهُمُ الْأَدِلَّةُ وَإِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِهَا الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَيَتَّقُونَ وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَهُمْ سَادِرُونَ فِي غُلْوَائِهِمْ حَتَّى يُلَاقُوا الْعَذَابَ. وَإِذْ قَدْ تَقَرَّرَ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ لِلْجَزَاءِ تَأَتَّى الْوَعِيدُ لِمُنْكِرِي الْبَعْثِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ وَالْمَصِيرَ إِلَيْهِ. وَلِوُقُوعِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ مَوْقِعَ الْوَعِيدِ الصَّالِحِ لِأَنْ يَعْلَمَهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ عُدِلَ فِيهَا عَنْ طَرِيقَةِ الْخِطَابِ بِالضَّمِيرِ إِلَى طَرِيقَةِ الْإِظْهَارِ، وَجِيء بالموصولة لِلْإِيمَاءِ إِلَى أَنَّ الصِّلَةَ عِلَّةٌ فِي حُصُولِ الْخَبَرِ [(٢)].

(١) زهرة التفاسير ٧/ ٣٥٢٠.

(٢) التحرير والتنوير ١١/ ٩٨.

الفعل الإنجازي المتضمن في القول:

لقد أفاد الخبر في هذه الآية السابقة فعلًا إنجازيًّا وهو" الوعيد" الحاصل من تكرار إعادة الموصول ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ ...وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴾ ثم (أولئك مأواهم) فقد عُدِلَ فِيهَا عَنْ طَرِيقَةِ الْخِطَابِ بِالضَّمِيرِ إِلَى طَرِيقَةِ الْإِظْهَار، وَجِيء بالموصولة لِلْإِيمَاءِ إِلَى أَنَّ الصِّلَةَ عِلَّةٌ فِي حُصُولِ الْخَبَرِ.

وتأسيسًا على ما تقدم يمكن أن نلمح القوة الإنجازية للفعل الكلامي كما يأتي:

- **المحتوى اللفظي** ← (الذين، لا يرجون لقاء الله، رضوا بالحياة، اطمأنوا بالدنيا، غافلون عن الآيات، أولئك، مأواهم النار، بما كانوا يكسبون).
- **المحتوى القضوي** ← الإخبار عن الذين لم يتوقعوا لقاء الله فانهمكوا في الشهوات وقنعوا بالدنيا وغفلوا عن آيات الله، بأن مَأْواهُمُ النَّارُ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ بما واظبوا عليه، وتمرَّنوا به من المعاصي.
- **القوة الإنجازية والتأثيرية** ← الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسًا والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم أصلاً.

تعليق واستنتاج:

ظهر من خلال العرض السابق أن الخبر في هذه الآية يحمل غرضًا إنجازيًا يتمثل في الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسًا والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم أصلاً؛ حيث لم يتوَقَّعوا لقاء الله فانهمكوا في الشهوات وقنعوا بالدنيا وغفلوا عن آيات الله، بأن مَأْواهُمُ النَّارُ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ بما واظبوا عليه وتمرَّنوا به من المعاصي.

وعلى ذلك فالمعنى المباشر القريب هو الإخبار عن حال هؤلاء المنكرين للبعث في الآخرة، وأنَّ مأواهم وقرارهم هو النار والعذاب الأليم، أما المعنى غير المباشر والبعيد هو الوعيد الحاصل من تكرار إعادة الموصول (الذين) ثم الإخبار

عن حالهم بقوله: (أولئك مأواهم)؛ ليكون وعيدًا لهم ولكل من أنكر البعث وركن إلى شهوات الدنيا وملذاتها.

*****

ثانيًا: التَّفْظِيع والتَّحذير

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[١].

المعنى العام للآية:

"وَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ في بدنه أو ماله أو أحبابه، دَعانا لإزالته مخلصًا فيه، وتضرع إلينا حال كونه مضطجعًا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِدًا أَوْ قائِمًا. وفائدة الترديد تقسيم الدعاء لجميع الأحوال أو لأصناف المضارّ، فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ؛ أي: مضى على طريقه واستمر على كفره، ولم يشكر الله على دفعه، أو مرَّ عن موقف الدعاء، ولم يرجع إليه. كَأَنْ لَمْ يَدْعُنا؛ أي: كأنه لم يدعنا إلى كشف ضُرٍّ مَسَّهُ قط نَسِيَ مَا كانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ أي: مثل هذا التزيين زين للمسرفين ما كانُوا يَعْمَلُونَ من الانهماك في الشهوات، والإعراض عن شكر المنعم عند المسرات وذهاب العاهات. وفي الآية تهديد لمن تشبه بهذه الحالة، بل الواجب على العبد دوام التجائه إلى ربه، والشكر له عند ظهور إجابته وإسدال عافيته"[٢].

الشرح والتحليل:

يخبر المولى عزوجل عن حال هؤلاء المشركين في اللجوء إليه عند الشدائد، والبعد والإعراض عنه عند كشف الضر، مع التحذير والتفظيع بمن كان

(١) يونس: الآية (١٢).

(٢) البحر المديد ٢/ ٤٥٥.

هذا حاله من المسرفين المعاندين في الأمم السابقة، " فالآية سيقت احتجاجًا على المشركين، بما جبلوا عليه كغيرهم من الالتجاء إليه تعالى عند الشدائد، علمًا بأنَّه لا يكشفها إلا هو، ليطرحوا عبادة ما لا يضر ولا ينفع، ويستيقنوا أنه الإله الأحد، الذي لا يعبد سواه. وفيها نعي عليهم سوء منقلبهم، إثر كشف كرباتهم، وتحذير من مثل صنيعهم" (١).

فقد "عَطَف هذه الآية عَلَى جُمْلَةِ ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ ﴾ (٢)؛ لِأَنَّ الْغَرَضَ الْأَهَمَّ مِنْ كِلْتَيْهِمَا هُوَ الِاعْتِبَارُ بِذَمِيمِ أَحْوَالِ الْمُشْرِكِينَ تَفْظِيعًا لِحَالِهِمْ، وَتَحْذِيرًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَمْثَالِهَا بِقَرِينَةِ تَنْهِيَةِ هَذِهِ الْآيَةِ بِجُمْلَةِ كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ. فَلَمَّا بُيِّنَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ وَجْهُ تَأْخِيرِ عَذَابِ الِاسْتِئْصَالِ عَنْهُمْ وَإِرْجَاءِ جَزَائِهِمْ إِلَى الْآخِرَةِ بُيِّنَ فِي هَذِهِ الْآيَة حَالهم عِنْد مَا يَمَسُّهُمْ شَيْءٌ من الضّر وَعند مَا يُكْشَفُ الضُّرُّ عَنْهُمْ"(٣).

الفعل الإنجازي المتضمن في القول:

لقد أفاد الخبر في هذه الآية السابقة فعلًا إنجازيًّا وهو" التحذير والتفظيع" الحاصل من تَنْهِيَةِ هَذِهِ الْآيَةِ بِجُمْلَةِ كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ.

فقد ذيَّل الآية بنهاية تدل على التحذير والتفظيع احتجاجًا على المشركين، بما جبلوا عليه كغيرهم من الالتجاء إليه تعالى عند الشدائد، علمًا بأنَّه لا يكشفها إلا هو، ليطرحوا عبادة ما لا يضر ولا ينفع، ويستيقنوا أنه الإله الأحد، الذي لا يعبد سواه.

(١) تفسير القاسمي ٦/ ١٠.
(٢) يونس: الآية (١١).
(٣) التحرير والتنوير ١١/ ١٠٩.

وتأسيسًا على ما تقدم فقد ثبت أنَّ القوة الإنجازية للفعل الكلامي كما يأتي:

- **المحتوى اللفظي**← (جملة: وإذا مس الإنسان.. وجملة: كذلك نجزي المسرفين).
- **المحتوى القضوي** ← الإخبار عن حال المشركين في اللجوء إلى الله عند الشدائد والبعد عنه عند كشفها، مع بيان مصير من كان هذا حاله من المسرفين.
- **القوة الإنجازية والتأثيرية** ← التحذير والتفظيع الحاصل من تَنْهِيَةِ هَذِهِ الْآيَةِ بِجُمْلَةِ كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ، فالفعل الإنجازي المتضمن في القول: لهذه الآية هو الِاعْتِبَارُ بِذَمِيمِ أَحْوَالِ الْمُشْرِكِينَ تَفْظِيعًا لِحَالِهِمْ وَتَحْذِيرًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَمْثَالِهَا بِقَرِينَةِ تَنْهِيَةِ هَذِهِ الْآيَةِ بِجُمْلَةِ كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ.

تعليق واستنتاج:

ظهر من خلال العرض السابق أن الخبر في هذه الآية يحمل غرضًا إنجازيًا يتمثل في التفظيع من حال المشركين، وَتَحْذِيرًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَمْثَالِهَا بِقَرِينَةِ تَنْهِيَةِ هَذِهِ الْآيَةِ بِجُمْلَةِ كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ، مع بيان أن ديدنهم وما جبلوا عليه كغيرهم من الالتجاء إلي الله تعالى عند الشدائد، علمًا بأنَّه لا يكشفها إلا هو؛ ليطرحوا عبادة ما لا يضر ولا ينفع، ويستيقنوا أنه الإله الأحد، الذي لا يعبد سواه.

*****

ثالثًا: الموعظة والتهديد

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ (١).

المعنى العام للآية:

في هذه الآية: "يُخَوِّفُ كُفَّارَ مَكَّةَ عَذَابَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، أَيْ نَحْنُ قَادِرُونَ عَلَى إِهْلَاكِ هَؤُلَاءِ بِتَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا (ﷺ)، وَلَكِنْ نُمْهِلُهُمْ لِعِلْمِنَا بِأَنَّ فِيهِمْ مَنْ يُؤْمِنُ، أَوْ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يُؤْمِنُ"(٢)، وَالْغَرَضُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ رَادِعًا لَهُمْ عَنْ قَوْلِهِمْ: إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ مَتَى سَمِعُوا أَنَّ اللَّه تَعَالَى قَدْ يُجِيبُ دُعَاءَهُمْ وَيُنْزِلُ عَلَيْهِمْ عَذَابَ الِاسْتِئْصَالِ، ثُمَّ سَمِعُوا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنَّ ذَلِكَ قَدْ وَقَعَ مِرَارًا كَثِيرَةً صَارَ ذَلِكَ رَادِعًا لَهُمْ وَزَاجِرًا عَنْ ذِكْرِ ذَلِكَ الْكَلَامِ"(٣).

الشرح والتحليل:

يخبر الله تعالى الرسول (ﷺ) عن الأمم السابقة التي أهلكها بسبب كفرهم ومعصيتهم له، فالإخبار في" هَذِهِ الْآيَةُ تَهْدِيدٌ وَمَوْعِظَةٌ بِمَا حَلَّ بِأَمْثَالِهِمْ. وَالْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى جُمْلَةِ: ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ﴾ (٤). بِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْإِنْذَارِ بِأَنَّ الشَّرَّ قَدْ يَنْزِلُ بِهِمْ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ غَيْرُ مُعَجَّلٍ، فَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا بِمَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ مِنْ قَبْلِهِمْ فَقَضَى إِلَيْهِمْ بِالْعَذَابِ أَجَلُهُمْ وَقَدْ كَانُوا يَعْرِفُونَ أُمَمًا مِنْهُم أَصَابَهُم الاستئصال مِثْلَ عَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ نُوحٍ. وَلِتَوْكِيدِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ أُكِّدَتِ الْجُمْلَةُ بِلَامِ

(١) يونس: الآية (١٣).
(٢) تفسير القرطبي ٨/ ٣١٧.
(٣) مفاتيح الغيب/ للرازي ١٧/ ٢٢٢.
(٤) يونس: من الآية (١١).

الْقَسَمِ وَقد الَّتِي للتحقيق. والإهلاك: الاستئصال وَالْإِفْنَاءُ" [١]. و"قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ تذييل قصد به التهديد والوعيد؛ أي: مثل ذلك الجزاء الأليم وهو إهلاك الظالمين، نجزى القوم المجرمين في كل زمان ومكان"[٢]. وعلى ذلك فإن الجملة الخبرية في هذه الآية تحمل معنى الوعيد والتهديد والموعظة بأحوال الأمم السابقة.

الفعل الإنجازي المتضمن في القول:

لقد أفاد الخبر في هذه الآية السابقة فعلًا إنجازيًّا تمثَّل في" الموعظة والتهديد؛ الذي ذكره المولى ﷻ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ يُنْزِلُ بِهِمْ عَذَابَ الِاسْتِئْصَالِ وَلَا يُزِيلُهُ عَنْهُمْ، فقد ذيَّل الآية بنهاية تدل على التهديد والموعظة لهم؛ لِأَنَّهُمْ مَتَى سَمِعُوا ذَلِكَ صار رَادِعًا لَهُمْ وَزَاجِرًا عَنْ ذِكْرِ ذَلِكَ الْكَلَامِ... وتأسيسًا على ما تقدم فقد ثبت أنَّ القوة الإنجازية للفعل الكلامي في هذا الخبر، تتمثل فيما يأتي:

- **المحتوى اللفظي** ← (جملة: ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا...وجملة: كذلك نجزي القوم المجرمين).
- **المحتوى القضوي** ← الإخبار عن إهلاك الأمم السابقة التي كذبت رسلها وكفرت؛ حيث ضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا بِمَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ مِنْ قَبْلِهِمْ فَقَضَى إِلَيْهِمْ بِالْعَذَابِ أَجَلُهُمْ وَقَدْ كَانُوا يَعْرِفُونَ أُمَمًا مِنْهُم أَصَابَهُم الاستئصال مِثْلَ عَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ نُوحٍ.
- **القوة الإنجازية والتأثيرية** ← الموعظة والتهديد بِمَا حَلَّ بِأَمْثَالِهِمْ. الحاصل من تَنْهِيَةِ هَذِهِ الْآيَةِ بِجُمْلَةِ ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ وذلك بقصد التهديد

(١) التحرير والتنوير ١١/ ١١٣.

(٢) التفسير الوسيط ٧/ ٣٧.

والموعظة لهم؛ أي: مثل ذلك الجزاء الأليم وهو إهلاك الظالمين، نجزى القوم المجرمين في كل زمان ومكان.

تعليق واستنتاج:

ظهر من خلال العرض السابق أن الخبر في هذه الآية يحمل غرضًا إنجازيًا تمثَّل في الموعظة والتهديد لكفار مكة وغيرهم في كل زمان ومكان، بِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْإِنْذَارِ بِأَنَّ الشَّرَّ قَدْ يَنْزِلُ بِهِمْ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ غَيْرُ مُعَجَّلٍ، فَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا بِمَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ مِنْ قَبْلِهِمْ. وَلِتَوْكِيدِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ أُكِّدَتِ الْجُمْلَةُ بِـ"لَامِ" الْقَسَمِ و"قَد" التحقيقية.

*****

رابعًا: التعــريض

قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾ (١).

المعنى العام للآية:

قيل: إنَّ سبب نزول هذه الآية أن رسول الله (ﷺ) لما دعا على أهل مكة بالجدب فقحطوا سبع سنين، كسني يوسف إجابةً لدعوته، أتاه أبو سفيان فقال: يا محمد قد كنتَ دعوت بالجدب فأجْدَبْنَا فادْعُ الله لنا بالخصب، فإن أجابك وأخصبنا صدَّقناك وآمنا بك، فدعا لهم واستسقى فسقوا وأُخصِبُوا، فنقضوا ما قالوه وأقاموا على كفرهم، وهو معنى قوله: ﴿إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ﴾ "(٢).

فالمراد بالناس كفار مكة على ما قيل، وقيل: إن الناس عام لجميع الكفار، والمعنى: وإذا أذقنا الناس منا رحمة كأن منحناهم الصحة والسعادة والغنى من

(١) يونس: الآية (٢١).

(٢) تفسير الماوردي (النكت والعيون)٢/ ٤٣٠.

بعد ضراء أصابتهم في أنفسهم أو فيمن يحبون، ما كان منهم إلا المبادرة إلى الطعن في آياتنا الدالة على قدرتنا، والاستهزاء بها والتهوين من شأنها [١].

الشرح والتحليل:

يخبر الله تعالى عن حال كفار مكة، أو الكفار بصفةٍ عامة وتمرُّدهم عند كشف الضر والقحط عنهم وتحولهم إلى النعمة والرخاء، ومكرهم وبطرهم وازدرائهم للنعمة فَأَنْسَاهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ أَنْ يَتَوَقَّعُوا حُدُوثَ ضِدِّهِ فَتَفَنَّنُوا فِي التَّكْذِيبِ بِوَعِيدِ اللَّهِ أَفَانِينَ الاستهزاء، وقد أَمَرَ الله الرَّسُولَ (ﷺ) أَنْ يَعِظَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ أَسْرَعُ مَكْرًا، أَيْ مِنْكُمْ، فَجَعَلَ مَكْرَ اللَّهِ بِهِمْ أَسْرَعَ مِنْ مَكْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، "وَجَاءَ الْكَلَامُ عَلَى طَرِيقَةِ الْحِكَايَةِ عَنْ حَالِهِمْ، وَالْمُلْقَى إِلَيْهِ الْكَلَامُ هُوَ النَّبِيُّ(ﷺ) وَالْمُؤْمِنُونَ. وَفِيهِ تَعْرِيضٌ بِتَذْكِيرِ الْكُفَّارِ بِحَالِ حُلُولِ الْمَصَائِبِ بِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، فَيُعِدُّوا عُدَّةَ الْخَوْفِ مِنْ حُلُولِ النِّقْمَةِ الَّتِي أَنْذَرَهُمْ بِهَا ... فَالْمُرَادُ بِـ النَّاسَ النَّاسُ الْمَعْهُودُونَ الْمُتَحَدَّثُ عَنْهُمْ بِقَرِينَةِ السِّيَاقِ عَلَى الْوَجْهَيْنِ الْمُتَقَدِّمَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ ﴾ "[٢].

وَلَمَّا كَانَ الْكَلَامُ مُتَضَمِّنًا التَّعْرِيضَ بِإِنْذَارِهِمْ، أَمَرَ الرَّسُولَ أَنْ يَعِظَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ أَسْرَعُ مَكْرًا؛ أَيْ: مِنْكُمْ، فَجَعَلَ مَكْرَ اللَّهِ بِهِمْ أَسْرَعَ مِنْ مَكْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ. وَدَلَّ اسْمُ التَّفْضِيلِ عَلَى أَنَّ مَكْرَ الْكَافِرِينَ سَرِيعٌ أَيْضًا، وَذَلِكَ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ حَرْفُ الْمُفَاجَأَةِ مِنَ الْمُبَادَرَةِ وَهِيَ إِسْرَاعٌ. وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ أَعْجَلُ مَكْرًا بكم مِنْكُم بمكركم بِآيَاتِ اللَّهِ [٣].

---

(١) ينظر: روح المعاني ١١/ ٩٣، والتفسير الوسيط/ د. سيد طنطاوي ٧/ ٤٧.

(٢) يونس: من الآية (١٢).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ١١/ ١١٣.

الفعل الإنجازي المتضمن في القول:

لقد أفاد الخبر في هذه الآية السابقة فعلًا إنجازيًّا، هو" التعريض"؛ حيث ورد فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَعْرِيضٌ بِتَذْكِيرِ الْكُفَّارِ بِحَالِ حُلُولِ الْمَصَائِبِ بِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، فَيُعِدُّوا عُدَّةَ الْخَوْفِ مِنْ حُلُولِ النِّقْمَةِ الَّتِي أَنْذَرَهُمْ بِهَا.

وتأسيسًا على ما تقدم فقد ثبت أنَّ القوة الإنجازية للفعل لهذا الخبر كما يأتي:

- **المحتوى اللفظي** ← (جملة: وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها...وجملة: قل الله أسرع مكرًا).
- **المحتوى القضوي** ← الإخبار عن تَمَرُّدِ الْمُشْرِكِينَ وأَنَّهُمْ لَاهُونَ بِبَطَرِهِمْ وَازْدِهَائِهِمْ بِالنِّعْمَةِ وَالدَّعَةِ فَأَنْسَاهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ أَنْ يَتَوَقَّعُوا حُدُوثَ ضِدِّهِ فَتَفَنَّنُوا فِي التَّكْذِيبِ بِوَعِيدِ اللَّهِ أَفَانِينَ الاستهزاء.
- **القوة الإنجازية والتأثيرية** ← التعريض بِتَذْكِيرِ الْكُفَّارِ بِحَالِ حُلُولِ الْمَصَائِبِ بِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، فَيُعِدُّوا عُدَّةَ الْخَوْفِ مِنْ حُلُولِ النِّقْمَةِ الَّتِي أَنْذَرَهُمْ بِهَا.

تعليق واستنتاج:

ظهر مما سبق أن الخبر في هذه الآية يحمل غرضًا إنجازيًا يتمثل في التعريض بحال كفار مكة وغيرهم في كل زمان ومكان، بِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْإِنْذَارِ بِأَنَّ الشَّرَّ قَدْ يَنْزِلُ بِهِمْ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ غَيْرُ مُعَجَّلٍ، فقد جَاءَ الْكَلَامُ عَلَى طَرِيقَةِ الْحِكَايَةِ عَنْ حَالِهِمْ.

*****

خامسًا: التَّعْزِية والتَّقْوية

قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾[(١)].

المعنى العام للآية:

" أنَّ نوحًا (عليه السلام) طلب إلى قومه على كثرتهم وقوتهم أن يفعلوا ما استطاعوا من الإيقاع به، مطالبة المدلّ ببأسه وقوته، المعتصم بإيمانه بوعد ربه وتوكله عليه، فأمرهم بإجماع أمرهم بصادق العزيمة وقوة الإرادة، وأن يضموا إلى هذه القوة النفسية قوة الإيمان بشركائهم وآلهتهم، وألا يكون في أمرهم الذي أجمعوا عليه شيء من الغمة والخفاء الذي قد يوجب الوهن والتردد في التنفيذ"[(٢)].

الشرح والتحليل:

يخبر المولى ﷻ في هذه الآية عَنْ نَبِيِّهِ نُوحٍ (عليه السلام) أَنَّهُ كَانَ بِنَصْرِ اللَّهِ وَاثِقًا، وَمِنْ كَيْدِهِمْ غَيْرَ خَائِفٍ، عِلْمًا مِنْهُ بِأَنَّهُمْ وَآلِهَتَهُمْ لَا يَنْفَعُونَ وَلَا يَضُرُّونَ، "وَهُوَ تَعْزِيَةٌ لِنَبِيِّهِ (ﷺ) وَتَقْوِيَةٌ لقلبه"[(٣)]. والمعنى: "ثُمَّ اقْضُوا ثم امضوا إِلَيَّ بما في أنفسكم من مكروه وما توعدوني به من قتل وطرد وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان إذا مات ومضى وقيل معناه ثم اقضوا ما أنتم قاضون وَلا تُنْظِرُونِ أي: ولا تؤخروني ولا تمهلوني بعد إعلامكم إياي ما أنتم عليه وهذا الكلام من نوح (عليه السلام) على طريق التعجيز لهم، فقد أخبر الله ﷻ عن نوح(عليه السلام) أنه كان قد بلغ الغاية

(١) يونس: الآية (٧١).
(٢) تفسير المراغي ١١/ ١٣٨.
(٣) تفسير القرطبي ٨/ ٢٦٢.

في التوكُّل على الله وأنه كان واثقًا بنصره غير خائفٍ من كيدهم علمًا منه بأنهم وآلهتهم ليس لهم نفع ولا ضر وإن مكرهم لا يصل إليه"[1].

ويتضح الفعل الإنجازي المتضمن في القول: لهذا الخبر من خلال الصورة التي رسمها صاحب ظلال القرآن بقول:" إنَّه التَّحدي الصريح المثير، الذي لا يقوله القائل إلا وهو مالئ يديه من قوته، واثقٌ كل الوثوق من عدته، حتى ليغري خصومه بنفسه، ويحرضهم بمثيرات القول على أن يهاجموه! فماذا كان وراء نوح من القوة والعدة؟ وماذا كان معه من قوى الأرض جميعاً؟

كان معه الإيمان.. القوة التي تتصاغر أمامها القوى، وتتضاءل أمامها الكثرة، ويعجز أمامها التدبير. وكان وراءه الله الذي لا يدع أولياءه لأولياء الشيطان! إنه الإيمان بالله وحده، ذلك الذي يصل صاحبه بمصدر القوة الكبرى المسيطرة على هذا الكون بما فيه ومن فيه. فليس هذا التحدي غرورًا، وليس كذلك تهورًا، وليس انتحارًا. إنَّما هو تحدي القوة الحقيقية الكبرى للقوى الهزيلة الفانية التي تتضاءل وتتصاغر أمام أصحاب الإيمان. وأصحاب الدعوة إلى الله لهم أسوة حسنة في رسل الله.. وإنه لينبغي لهم أن تمتلئ قلوبهم بالثقة حتى تفيض.

وإن لهم أن يتوكلوا على الله وحده في وجه الطاغوت أياً كان! ولن يضرهم الطاغوت إلاَّ أذى – ابتلاء من الله لا عجزًا منه سبحانه عن نصرة أوليائه، ولا تركًا لهم ليسلمهم إلى أعدائه. ولكنه الابتلاء الذي يمحص القلوب والصفوف. ثم تعود الكَرَّة للمؤمنين. ويحق وعد الله لهم بالنصر والتمكين. والله سبحانه يقصُّ

(١) تفسير الخازن (لباب التأويل) ٢/ ٤٥٤.

قصة عبده نوح وهو يتحدَّى قوى الطاغوت في زمانه هذا التحدِّي الواضح الصريح"[١].

الفعل الإنجازي المتضمن في القول:

لقد أفاد الخبر في هذه الآية السابقة فعلًا إنجازيًّا وهو " التَّعزية والتَّقوية للنَّبي (ﷺ) "؛ وذلك في الإخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ نُوحٍ (عليه السلام) أَنَّهُ كَانَ بِنَصْرِ اللَّهِ وَاثِقًا، وَمِنْ كَيْدِهِمْ غَيْرَ خَائِفٍ، عِلْمًا مِنْهُ بِأَنَّهُمْ وَآلِهَتَهُمْ لَا يَنْفَعُونَ وَلَا يَضُرُّونَ، فأصحاب الدعوة إلى الله لهم أسوة حسنة في رسل الله. وإنه لينبغي لهم أن تمتلئ قلوبهم بالثقة حتى تفيض.

وتأسيسًا على ما تقدم فقد ثبت أنَّ القوة الإنجازية للفعل الكلامي كما يأتي:

- **المحتوى اللفظي** ← (جملة: واتل عليهم نبأ نوح...وجملة: فعلى الله توكلت، وجملة: فأجمعوا أمركم.. وجملة: ثم لا يكن أمركم).
- **المحتوى القضوي** ← الإخبار مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ نُوحٍ (عليه السلام) أَنَّهُ كَانَ بِنَصْرِ اللَّهِ وَاثِقًا، وَمِنْ كَيْدِهِمْ غَيْرَ خَائِفٍ، عِلْمًا مِنْهُ بِأَنَّهُمْ وَآلِهَتَهُمْ لَا يَنْفَعُونَ وَلَا يَضُرُّونَ.
- **القوة الإنجازية والتأثيرية** ← التَّعزية والتَّقوية للنَّبي (ﷺ)، من خلال إخبار الله تعالى عَنْ نَبِيِّهِ نُوحٍ (عليه السلام) أنه كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله وأنه كان واثقًا بنصره، غير خائف من كيدهم.

تعليق واستنتاج:

ظهر من خلال العرض السابق أن الخبر في هذه الآية يحمل غرضًا إنجازيًا يتمثل في التَّعزية والتَّقوية للنَّبي (ﷺ)؛ وذلك من خلال الإخبار مِنَ اللَّهِ

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١٨١١.

تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ نُوحٍ (عليه السلام) في انه كان واثقًا من نصر الله له، وَانه غَيْرَ خَائِفٍ من كيد اعدائه، عِلْمًا مِنْهُ بِأَنَّهُمْ وَآلِهَتَهُمْ لَا يَنْفَعُونَ وَلَا يَضُرُّونَ، وأن أصحاب الدعوة إلى الله لهم أسوة حسنة في رسل الله.. وإنه لينبغي لهم أن تمتلئ قلوبهم بالثقة حتى تفيض، وإنَّ لهم أن يتوكلوا على الله وحده في وجه الطاغوت أياً كان! ولن يضرهم الطاغوت إلاَّ أذىً – ابتلاء من الله لا عجزًا منه سبحانه عن نصرة أوليائه، ولا تركًا لهم ليسلمهم إلى أعدائه. ولكنه الابتلاء الذي يمحص القلوب والصفوف. ثم تعود الكرة للمؤمنين. ويحق وعد الله لهم بالنصر والتمكين، ففي هذا الخبر تكمن المعاني التداولية التي تفهم من الفعل الكلامي في هذا الأسلوب الخبري؛ حيث التثبيت والتقوية للنبي (صلى الله عليه وسلم)، وأن نبي الله نوح (عليه السلام) كان في ذلك المثل والقدوة في الثبات والقوة في وجه أعداء الله من الكفار، وهذا مالا ينبغي أن يتحلى به الدعاة في كل مكان وزمان، من الصبر والقوة والتوكل على الله تعالى والوثوق في نصر الله وعونه لأوليائه وعدم تركهم فريسةً لأعدائهم من أعداء الدين. فهذه المعاني والدلائل العظيمة تعد من فوائد الدراسة التداولية للأفعال الكلامية.

****

تعقـــيب

على المطلب الثاني: الإخباريات (التقريريات) في سورة يونس والأثر التداولي لأفعال الكلام في أسلوب الخبر

فـي هـذه الجزئيـة مـن جزئيـات البحـث تناولـتُ الآيـات القرآنيـة التطبيقيـة لنظريـة الأفعـال الكلاميـة فـي أسـلوب " الخبـر"، ومـا نـتج عنهـا مـن أفعـال كلاميـة جديدة منبثقة عن الأفعال الأصلية، وقد تبين الآتي:

١- أنَّ الأفعـال الإخباريـة أو بـالأحرى الإثباتيـة كمـا يسميها سيرل عنصرًا أساسًا فـي الأفعـال الكلاميـة، وهـي التـي تختـص بنقـل المـتكلم لأحوالـه وأخبـاره مـن خـلال تركيـزه علـى قضـيةٍ مـا، فهـي " أن نقـدم الخبـر بوصـفه تمثـيلاً لحالـةٍ موجودة في العالم، وتكون ذات صبغة صادقة أو كاذبة.

٢- تنوع الأغراض الإنجازيـة للأفعـال الإخباريـة فـي سورة يونس مـا بين الوعيد، والتفظيـع والتحـذير، والموعظـة والتهديد، والتعريض، والتقويـة والتثبيـت، وذلـك تبعًا للسياق والمقام التي تتحكم في الفعل الإنجـازي المتضـمن فـي القول: لهذا الفعل الكلامي الإخباري.

٣-أن الإخباريات تمثل جزءًا من الأفعال الكلامية في القرآن الكريم ولا تقل أهمية عن الإنشـائيات (الطلبيات)؛ حيث تحمل أغراضًـا إنجازيـة مهمـة فـي الكشـف عن أسرار ومعاني النص القرآني الخفية التي ترسم صورة للأحداث برزت بين آياته وألفاظه المقدسة، وقد كشفت عن حقائق وأحداث كان لها أثر واضح في مسار الدعوة.

*****

الخاتمـــــــة

ونتائج البحث

... بعد هذه الجولة النافعة الماتعة في رحاب تلك البساتين النديَّة، والنفحات الربانيَّة، مع كتاب ربنا . عز وجل . من خلال تلك الآيات المباركات من سورة يونس مقامًا ودراسةً نظمية في ضوء نظرية الأفعال الكلامية، فقد تناولَ البحثُ الجانب النظري لأفعال الكلام والتداولية من الإرهاصات الأولى لتلك النظرية، ومرورًا بمرحلة المفهوم والنشأة، ثم الحديث عن اللبنات الأولى التي شكلت صرح هذا العلم في الفلسفة عند (أوستين)، و(سيرل)، ثم تناول البحث الجهود العربية الحديثة في إثراء التداولية، فكان هذا الجانب النظري في هذ البحث، وتطبيقًا ودخولاً في خضم الإشكالية المطروحة للدراسة، تعاملت مع النص القرآني وارتأيت أن تكون سورة يونس خطابًا تُطَبَّق عليه تلك المرتكزات لهذه النظرية؛ حيث تعرضت لأهم تلك الصيغ المتضمنة لأفعال الكلام والأثر التداولي لها، متمثلةً في: الإنشائيات "الطلبيات" أساليب (الاستفهام والأمر، والنداء)، والخبريات (التقريريات)، ولم أُغفل في دراستي دور السياق أو المقام؛ حتى يتسنَّى للمتلقي أو المخاطب التوصل إلى المقصود من كلام رب العالمين.

وقد أسفر البحث عن بعض النتائج، أهمها ما يأتي:

١. أن الأفعال الكلامية غير المباشرة تعد من الموضوعات المهمة التي أسست لظهور علم التداولية في العصر الحديث، وهي الأفعال التي يكون لها إنجاز دلالي وفق المقام أو السياق، فيخرج الملفوظ من معناه الحرفي إلى معنى آخر هو المقصود، وهذا ما اتضح من خلال دراسة الأفعال الكلامية في سورة يونس.

٢. أظهر البحث تنوع استعمال الأفعال الكلامية بصورة غير مباشرة في سورة يونس ما بين الإنشائية (الطلبيات) متمثلة في الاستفهام والأمر، وما بين الخبرية (التقريريات)، مع تنوع الأغراض الإنجازية لها ما بين: التهكم،

والإنكار، والتوبيخ، والوعيد، والتهديد، والتحدي والتعجيز، والتقوية والتثبيت.. وغيرها؛ مما يدل على أهمية هذه النظرية في الكشف عن المعاني القرآنية الخفية التي تظهر إعجاز الخطاب القرآني وتنوع أساليبه.

٣. إثبات أنَّ الفعل الإنجازي المتضمن في القول: لفعل الأمر ﴿ ٱئۡتِ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ ﴾ هو (الاستهزاء والسخرية)، وليس (التَّحدي والتَّعجيز)، الذي ذهب إليه بعض الباحثين المحدثين؛ اعتمادًا على بعض النصوص والأدلة ــ التي تثبت عكس مراده ــ فالملاحظ أنَّه أثناء محاولة الاستشهاد بالنص المذكور من كتاب ظلال القرآن حدث خلط بين التعجيز والاستهزاء، وأعتقد أنَّهما متغايران، فالتعجيز قائم على التَّحدِّي والنِّدِّيَّة مع الجدِّيَّة، بخلاف الاستهزاء فهو قائم على السخرية والاستهانة بالخصم مع الهزل والعبث.

٤. أنَّ الأفعال الإخبارية غير المباشرة تعدُّ عنصرًا أساسًا في الأفعال الكلامية، وهي التي تختص بنقل المتكلم لأحواله وأخباره من خلال تركيزه على قضيةٍ ما، فهي "أن نقدم الخبر بوصفه تمثيلاً لحالةٍ موجودة في العالم؛ حيث تحمل معنى مغايرًا لما يفهم من النص الخبري المذكور، وهذا ما اتضح من خلال التطبيق عل الخطاب القرآني في سورة يونس في كثير من المواضع.

٥. ظهر أنَّ الأفعال الإنجازية غير المباشرة لا تدل هيئتها التركيبية على زيادة في المعنى الإنجازي الحرفي، وإنما الزيادة فيما يقصد من معنى ومدى استجابة السامع له، ومن هنا اتضحت علاقة الخروج عن الأصل بمفهوم المقام والقرينة.

٦. كشف البحث عن الاختلاف في تفسير الفعل الإنجازي المتضمن في القول: لبعض المواضع في سورة يونس وذلك تبعًا لتأويل أداة الاستفهام؛ وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ ، فقد ذهب بعض

العلماء إلى أن الفعل الإنجازي المتضمن في القول: هو الاستبطاء، في حين ذهب بعضهم إلى أنه " الاستبعاد"، وقد رجَّح البحث أحدهما بناءً على المعطيات وقرائن الأحوال.

٧. ظهر أنَّ لأسلوب الاستفهام أثرٌ طيب في القرآن الكريم وخاصةً في سورة يونس؛ نظرًا لما يعمله من جلب القارئ أو المستمع في عملية الاستدلال، بحيث إنه يشركه بحكم قوة الاستفهام وخصائصه.

- وأخيرًا أوصي الباحثين بإعادة قراءة كتب التراث من منظور حديث؛ لمعرفة موقع ومكانة منجزات التراث اللغوي العربي من الفكر اللغوي الحديث، وتطبيق ذلك على النص العربي، وخاصةً النص القرآني للكشف عما يحويه من كنوز وذخائر مفيدة.
- كما أوصي الباحثين بضرورة توظيف الدرس التداولي في إبراز مظاهر الإعجاز اللغوي للنص القرآني، ودور السياق في فهم المعنى المراد؛ وهذا يتطلب من الباحثين أن يشمروا عن ساعد الجِدِّ؛ لدراسة الخطاب القرآني والنبوي في ضوء التداولية الحديثة؛ لكشف دلالات وأسرار هذه النصوص المقدسة، ومواطن الإعجاز فيها، حتى تعم الفائدة في المجتمع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

****

الفهارس الفنية

(١) فهرس المصادر والمراجع

أولاً ـ المطبوعـــات:

١. أساس البلاغة، تحقيق/ محمد باسل عيون السود، الناشر/ دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ــ ١٩٩٨ م.

٢. أساليب بلاغية الفصاحة ــ البلاغة ــ المعاني/ أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات الكويت، الطبعة الأولى.

٣. الاستلزام الحواري في التداول اللساني/ العيّشيّ أدراوي، دار الأمان ــ المغرب، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ ــ ٢٠١١م.

٤. الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، جمع وإعداد/ علي بن نايف الشحود (دون بيانات أخرى).

٥. إعراب القرآن/ للأصبهاني، تحقيق/ د. فائزة بنت عمر المؤيد، الناشر/ غير معروف (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض)، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م.

٦. الأعلام/ للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة السادسة ١٩٨٤م.

٧. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر/ د. محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

٨. إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار/ الفُلَّاني المالكي، دار المعرفة – بيروت

٩. الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) للخطيب القزويني (مقدمة المحقق)، تحقيق/ محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثالثة. ونسخة أخرى، بتحقيق/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

١٠. البحر المحيط في التفسير/ لأبي حيان الأندلسي، تحقيق/ صدقي محمد جميل، الناشر/ دار الفكر ـ بيروت، الطبعة ١٤٢٠هـ.
١١. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ لابن عجيبة، تحقيق/ أحمد عبد الله القرشي، الناشر/ الدكتور حسن عباس زكي ـ القاهرة، الطبعة ١٤١٩هـ.
١٢. البلاغة العربية علم المعاني/ د. محمد محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية ٢٠٠٢م
١٣. البلاغة العربية أصولها وامتدادها/ د. محمد العمري، أفريقيا الشرق ـ المغرب، لبنان ١٩٩٩م.
١٤. البلاغة فنونها وأفنانها ـ علم المعاني/ د. فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، اليرموك، الأردن، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
١٥. البيان والتبيين/ للجاحظ، تحقيق/ عبد السلام هارون، دار الهلال، بيروت ١٤٢٣هـ.
١٦. تاريخ بغداد/ للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٧. التحرير والتنوير/ للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر ـ تونس ١٩٨٤هـ.
١٨. التداولية عند العلماء العرب / د. مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
١٩. التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد/ صلاح إسماعيل عبد الحق، دار التنوير، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٣م.
٢٠. التداولية في البحث اللغوي والنقدي/ د. بشرى البستاني، مؤسسة السياب (لندن)، الطبعة الأولى ٢٠١٢م.
٢١. تذكرة الحفاظ/ للذَّهبي، دار إحياء التراث العربي.

٢٢. التعريفات/ للجرجاني، ضبطه وصححه/ جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
٢٣. تفسير ابن كثير، تحقيق/ محمد حسين شمس الدين، الناشر/ دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٢٤. تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٥. تفسير الألوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، تحقيق/ علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ــ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٢٦. تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، تحقيق/ محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٢٧. تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، تحقيق/ الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق/ أ. نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
٢٨. تفسير الجلالين/ للسيوطي، دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى.
٢٩. تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، تصحيح/ محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٣٠. تفسير الرازي (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.
٣١. تفسير الشعراوي – الخواطر، الناشر/ مطابع أخبار اليوم (ليس على الكتاب الأصل – المطبوع – أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م)

٣٢. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل أي القرآن)، دار الفكر . بيروت ١٤٠٨هـ.
٣٣. تفسير القاسمي (محاسن التأويل)، تحقيق/ محمد باسل عيون السود، الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٨هـ.
٣٤. تفسير القرطبي، تحقيق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
٣٥. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) / للرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٢٠ هـ.
٣٦. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) أبو منصور الماتريدي، تحقيق/ د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ. ٢٠٠٥م.
٣٧. تفسير الماوردي (النكت والعيون)، تحقيق/ السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت ـ لبنان.
٣٨. تفسير المراغي/ أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.
٣٩. التفسير المظهري، تحقيق/غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية ـ الباكستان، ١٤١٢هـ.
٤٠. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه/ يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له/ محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٤١. تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، تحقيق/ الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٦هـ.
٤٢. التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٤٣. التفسير الوسيط/ د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.
٤٤. التفكير التداولي في كتاب الحروف/ لأبي نصر الفارابي (رسالة دكتوراة) لابن شريط نصيرة، كلية الآداب واللغات، بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة ـ الجزائر ٢٠١٦/ ٢٠١٧م.
٤٥. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس/ المنسوب لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما، جمعه/ الفيروزآبادى، دار الكتب العلمية – لبنان.
٤٦. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن/ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٤٧. حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي/ للشهاب الخفاجي، دار صادر – بيروت.
٤٨. دراسات في علم المعاني/ عبد الواحد حسن الشيخ، مطبعة الإشعاع ـ الإسكندرية، مصر.
٤٩. دروس في البلاغة العربية/ الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
٥٠. روح البيان/ لإسماعيل حقي، دار الفكر – بيروت.
٥١. زهرة التفاسير/ لأبي زهرة، دار الفكر العربي.
٥٢. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير/ للخطيب الشربيني، الناشر/ مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة ١٢٨٥هـ.
٥٣. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها/ لابن فارس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ –١٩٩٧م.

٥٤. صفوة التفاسير/ محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
٥٥. العقل واللغة والمجتمع ـ الفلسفة في العالم الواقعي/ جون سيرل، ترجمة/ سعيد الغانمي، الناشر/ المركز الثقافي العربي، والدار العربية للعلوم، بيروت ــ لبنان، ومنشورات الاختلاف ــ الجزائر، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٦م.
٥٦. علم البيان بين النظريات والأصول/ د. ديزيرة سقال، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى١٩٩٧م.
٥٧. علم المعاني/ د. عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية، القاهرة ٢٠٠٤م.
٥٨. علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) / محي الدين ديب ورفيقه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس ـ لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
٥٩. فتحُ البيان في مقاصد القرآن/ للقِنَّوجي، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه/ عَبد الله الأنصَاري، الناشر/ المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٦٠. فتح القدير/ للشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
٦١. الفلسفة واللغة (نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة) د. الزواوي بغواره، دار الطليعة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
٦٢. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام/ طه عبد الرحمن، المركز الثقافي، الدار البيضاء ـ المغرب، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.
٦٣. في البرجماتية (الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة) / علي محمود حجي الصراف، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.
٦٤. في البلاغة العربية ـ علم المعاني/ د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

٦٥. في ظلال القرآن/ للشيخ سيد قطب، دار الشروق، بيروت– القاهرة، الطبعة السابعة عشر ١٤١٢هـ.
٦٦. قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص/ رشيد بن مالك، الناشر/ السيد أحمد ماضي، دار الحكمة ـ فيفري ٢٠٠٠م.
٦٧. الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني) أيمن عبد الغني، دار التوفيقية للتراث ـ القاهرة ٢٠١١م.
٦٨. كتاب الحروف/ للفارابي، تحقيق/ محسن مهدي، دار المشرق، بيروت ـ لبنان ١٩٨٦م.
٦٩. الكتاب/ لسيبويه، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٧٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ للزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
٧١. لسان العرب/ لابن منظور، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
٧٢. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي/ طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
٧٣. محاسن التأويل/ للقاسمي، تحقيق/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٨هـ.
٧٤. مدخل إلى علم النص ـ مشكلات بناء النص/ زتسيسلاف واوزنياك، ترجمة/ سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
٧٥. معاني القرآن وإعرابه/ للزجاج، تحقيق/ عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٧٦. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها/ د. أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٩م.

٧٧. معجم مصطلحات السيموطيقا/ برونوين ماتن وفليزيتاس رينجهام، ترجمة/ عابد خزندار، ومحمد بريري، المركز القومي للترجمة القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.
٧٨. مفتاح العلوم/ للسكَّاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٧٩. مقاييس اللغة/ لابن فارس، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٨٠. مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب/ د. محمد يونس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
٨١. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل/ أبو جعفر الغرناطي، وضع حواشيه/ عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٨٢. المنار في علوم القرآن/ د. محمد علي الحسن، قدم له/ د. محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٨٣. نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب/ طالب سيد هاشم الطبطبائي، مطبوعات جامعة الكويت ـ الكويت ١٩٩٤م.
٨٤. نظرية أفعال الكلام العامة/ أوستين، ترجمة/ عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق ١٩٩١م.

ثانيًا ـ الرسائل العلمية:

١. الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، سورة البقرة _ دراسة تداولية/ محمد مدور (رسالة دكتوراة) بكلية الآداب واللغات_ جامعة الحاج لخضر– باتنة، الجزائر للعام ٢٠١٣/ ٢٠١٤م.

٢. الأفعال الكلامية في سورة الكهف _ دراسة لسانية تداولية/ لآمنة لعور (رسالة ماجستير)، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، الجزائر ٢٠١٠/ ٢٠١١م.
٣. السور المسبحات دراسة تداولية/ لمحمد شمخي جبر (رسالة ماجستير)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت ٢٠١٥/ ٢٠١٦م.
٤. أفعال الكلام في سورة مريم ـ دراسة تداولية/ لحدادي صباح ورفيقتها، مذكرة تخرج لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي .كلية الآداب واللغات، جامعة عبد الرحمان ميرة ــ بجاية، الجزائر، السنة الجامعية ٢٠١٦/ ٢٠١٧م.
٥. بنى الجدل في الخطاب القرآني/ خولة عبد الحميد، (رسالة دكتوراة)، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات ٢٠٠٦م.

ثالثًا ـ البحوث والدوريات:

١. الأفعال الكلامية في آيات التعجيز في القرآن الكريم ــ دراسة تداولية/ د. أمل عبد
الفتاح أحمد، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد (٣٩) ٢٠٢١م.
٢. أفعال الكلام في القرآن ودورها في إنتاج المعنى وترجمته إلى اللغة الفرنسية/ لعبد الرحمان مرواني، بحث في مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد (٨)، عدد (٣)، ٢٠١٩م، جامعة العربي التبسي ـ تبسة (الجزائر).
٣. أفعال الكلام في قصة كليم الرحمن موسى (عليه السلام)/ الأستاذة ابتسام بن خراف، بحث في مجلة كلية الآداب واللغات ـ جامعة الحاج لخضر ـ باتنة الجزائر، العدد (١٢) جانفي ٢٠١٣م.
٤. البنية الحجاجية في القرآن الكريم، (سورة النمل نموذجًا) للحواس مسعودي، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، العدد (١٢).

٥. الفعل الكلامي في سورة الأنفال _ قراءة تداولية/ لحسين جعفر عبيد، بحث في مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية المجلد ٢٦، العدد (٩) ٢٠١٨م.

٦. تسبيح الله ذاته العلية في آيات كتابه السنية/ عماد بن زهير حافظ، الناشر/ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٩– ٣٥ – ١٤٢٣هـ ـــ ٢٠٠٣م.

٧. تعديل القوة الإنجازية _ دراسة في التحليل التداولي للخطاب/ د. محمد العبد، بحث في مجلة فصول التي تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب العدد (٦٥)، خريف ٢٠٠٤ـ شتاء ٢٠٠٥م.

٨. التفكير اللغوي التداولي عند العرب، مصادره ومجالاته/ خليفة بوجادي، بحث في مجلة العلوم الاجتماعية، العدد ١٦ ديسمبر ٢٠١٢م.

٩. معاني الحروف في أُسلوب النداءِ القرآنِي/ د. هُدى ناجي عبيد البديري، بحث في مجلة كلية التربية الجامعة المستنصرية – العراق العدد الثاني ٢٠١٩م.

١٠. نظرية الأفعال الكلامية وإعادة قراءة التراث العربي/ مقال للدكتور عمر بلخير، من أعمال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب فيفري مم٢٠٠٧م _ جامعة قاصدي مرباح، ورقلة الجزائر.

****

(٢) فهرس الموضوعـات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.	٢٧٨٧
تمهيد: التداولية. مفهومها.. نشأتها.. محاورها.	٢٧٩٥
الفصل الأول: الأفعال الكلامية في الفكر اللساني (الغربي والعربي) ويشتمل على مبحثين، هما:	٢٨٠٥
المبحث الأول: الأفعال الكلامية عند الغرب.	٢٨٠٥
المبحث الثاني: الأفعال الكلامية عند العرب.	٢٨١١
الفصل الثاني: دراسة تطبيقية لأفعال الكلام في سورة يونس. ويشتمل على مبحثين، هما:	٢٨٢٣
المبحث الأول: التعريف بسورة يونس	٢٨٢٤
المبحث الثاني: الأفعال الكلامية في سورة يونس وفق تقسيمات " سيرل". ويتضمن مطلبين هما: المطلب الأول: الطلبيات (التوجيهيات) Commissives المطلب الثاني: الإخباريات (التقريريَّات) Assrtives	٢٨٢٩
الخاتمة ونتائج البحث.	٢٨٩٧
الفهارس الفنية: وتشمل:	٢٩٠٠
(١) فهرس المصادر والمراجع.	٢٩٠٠
(٢) فهرس الموضوعات.	٢٩١٠

(تم البحث بحمد الله)

والله ولي التوفيق